هذا هو الإسلام

(٣)

- احترام المقدّسات
- خيرية الأمة

«شروط مكتسبة.. لا عنصرية موروثة»

- عوامل تفوق الإسلام

«شهادة غربية»

د. محمد عمارة

مكتبة الشروق الدولية

هذا هو الإسلام

(٣)

* احترام المقدّسات

* خيرية الأمة

«شروط مكتسبة.. لا عنصرية موروثة»

* عوامل تفوق الإسلام

«شهادة غربية»

الطبعـــة الأولى
١٤٢٦ هـ ـ ديسمبر ٢٠٠٥ م

٩ شارع السعادة ـ أبراج عثمان ـ روكسي ـ القاهرة
تليفون وفاكس: ٤٥٠١٢٢٨ ـ ٤٥٠١٢٢٩ ـ ٢٥٦٥٩٣٩
Email: < shoroukintl @ hotmail. com >
< shoroukintl @ yahoo.com >

هذا هو الإسلام

(٣)

* احترام المقدَّسات

* خيرية الأمة

«شروط مكتسبة.. لا عنصرية موروثة»

* عوامل تفوق الإسلام

«شهادة غربية»

د. محمد عمارة

مكتبة الشروق الدولية

الفهرس

الموضـــــــوع	الصفحة
*** احترام المقدسات ***	
١ ـ في صدر الإسلام	٩
٢ ـ وفي التاريخ : موقفان	١٥
٣ ـ وفي العصر الحديث	٢١
٤ ـ وفي معاملة الأسرى . . واحترام العهود	٢٥
الهوامش	٣٦
المصادر والمراجع	٣٨
*** خيرية الأمة ***	
«شروط مكتسبة.. لا عنصرية موروثة»	
١ ـ تمهيد	٤١
٢ ـ خيرية مشروطة	٤٣
٣ ـ التعريف بالمصطلحات	٤٧
٤ ـ رؤية حضارية لخيرية الأمة	٤٩
٥ ـ عنصرية نزعة شعب الله المختار	٥٧
٦ ـ العصمة الدولية لشعب الله المختار !	٦٧

الهوامش ٧١
المصادر والمراجع ٧٣

* عوامل تفوق الإسلام *

شهادة العلامة مونتجمرى وات ٧٧
١ ـ الأهداف ٧٩
٢ـ الوحى القرآنى ٨١
٣ـ ثراء القرآن . . وجدته . . وأصالته . . وحفظه . . ومحوريته فى الثقافة الإسلامية ٨٥
٤ـ العربية : لغة حضارة وثقافة متميزة ٨٩
٥ـ عالمية الإسلام . . وتفوقه . . وقية ٩١
٦ـ فشل المسيحية فى الشرق الأوسط ٩٣
٧ـ الإسلام هو الهيكل الأساسى لدين المستقبل ٩٧
٨ـ تعصب المركزية الأوروبية ٩٩
٩ـ العلم . . والعلمانية . . والقيم ١٠١
١٠ـ شروط الحوار بين أهل الأديان ١٠٣
الهوامش ١٠٥
* الدكتور محمد عمارة ١٠٧
١ ـ سيرة ذاتية فى نقاط ١١٠
٢ ـ ثبت بأعماله الفكرية

احترام المقدسات

ـ ١ ـ

فى صدر الإسلام

فى أول لقاء بين الإسلام والنصرانية، عندما استقبل رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران، بالمدينة المنورة سنة ١٠هـ ٦٣١م، كان احترام الإسلام لمقدسات الآخرين الدينية معلمًا من المعالم البارزة التى أرساها الإسلام، فى النظر وفى التعامل مع هؤلاء الآخرين.

ولم يكن ذلك مجرد سماحة من رسول الإسلام ﷺ ولا محض سياسة فى التعامل مع هؤلاء الآخرين، غير المسلمين.. وإنما كان ـ فوق ذلك وقبله ـ انطلاقًا من الإيمان الدينى الإسلامى، الذى لا يكتمل إلا بالاعتراف بكل الشرائع والكتب التى يتعبد بها هؤلاء الآخرون.

فالمسلمون يتلون فى قرآنهم الكريم قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ وصفًا لهم: ﴿آمن الرَّسُولُ بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نُفرق بين أحد من رُسُله﴾ [البقرة: ٢٨٥] ـ وكتابهم ـ القرآن الكريم ـ قد جاء مصدقًا لما بين يديه من وحى الله ـ سبحانه وتعالى ـ إلى جميع الرسل والأنبياء: ﴿وما كان هذا القرآنُ أن يُفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من ربّ العالمين﴾ [يونس: ٣٧] ـ فهذا الوحى القرآنى هو الفصل الخاتم والجامع والمفصل فى سلسلة الوحى الإلهى على مر تاريخ الرسالات والنبوات: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورًا * ورُسلاً قد قصصناهم عليك من قبلُ ورُسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليمًا﴾ [النساء: ١٦٣، ١٦٤].

وفي هذا الوحي القرآني يصلي المسلمون ويسلمون على كل الأنبياء والمرسلين . . ويعظمون الهدى والنور الذي أنزل الله على موسى ـ في التوراة ـ وعلى عيسى ـ في الإنجيل ـ ويؤكدون على الانتماء إلى ملة أبي الأنبياء، الخليل إبراهيم عليه السلام.

لهذا الإيمان الديني الإسلامي ـ الذي أسس للسماحة الإسلامية ـ كان احترام الإسلام والمسلمين لكل مقدسات أصحاب المقدسات الدينية، منذ اللحظة الأولى للقاء الإسلام بأهل الكتاب ـ من اليهود والنصارى ـ وطوال تاريخ الإسلام.

بل إن هذه القاعدة الإسلامية قد طبقها المسلمون مع أهل الديانات الوضعية ـ ومع مقدساتهم ـ انطلاقا من حديث رسول الله ﷺ : «**سنّوا فيهم سنة أهل الكتاب**» ـ رواه الإمام مالك في الموطأ . . فاحترم المسلمون الخصوصيات الدينية، ودور العبادة لأهل تلك الديانات، وعاش في عالم الإسلام وحضارته المجوس والبوذيون والصابئة والهندوس، وكل ألوان الطيف الديني ـ مع أهل الديانات السماوية ـ يتعبدون في معابدهم، التي احترمها وصانها وقدسها الإسلام والمسلمون.

ولأن رسول الله ﷺ قد جمع إلى النبوة والرسالة قيادة الدولة الإسلامية الأولى، فلقد قنّن هذا المعلم من معالم الدين والدولة في الإسلام، منذ اللحظة الأولى للقاء الإسلام والنصرانية، عندما جاء وفد نصارى نجران إلى المدينة المنورة، في عام الوفود سنة ١٠هـ ـ ٦٣١م.

لقد فتح رسول الله ﷺ مسجد النبوة لنصارى نجران فصلوا فيه صلاة عيد الفصح، الذي حان موعده وهم ضيوف على الرسول ﷺ [١].

كما تم التقنين ـ تفصيليا ـ لاحترام جميع المقدسات غير الإسلامية في الوثيقة الدستورية ـ «العهد» ـ الذي كتبه رسول الله ﷺ لنصارى نجران، ولكل المتدينين بالنصرانية . . وهو «العهد» الذي جاء فيه:

«**ولنجران وحاشيتها، ولأهل ملتها، ولجميع من يتحل دعوة النصرانية في شرق الأرض وغربها، قريبها وبعيدها، فصيحها وأعجمها، جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله، على أموالهم، وأنفسهم، وملتهم، وغائبهم، وشاهدهم، وعشيرتهم، وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير . . وأن أحرس دينهم وملتهم أين**

كانوا.. بما أحفظ به نفسي وخاصتي وأهل الإسلام من ملتي.. لأني أعطيتهم عهد الله أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم.. حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم».

لقد أعطى الدين الإسلامي كل غير المسلمين جميع حقوق المواطنة، مثلهم في ذلك مثل المواطنين المسلمين. مشترطًا عليهم ما هو مشروط على المسلمين: أن يكون الولاء الكامل والانتماء الخالص لدولة الإسلام - التي هي دولة الجميع - وبنص هذا «العهد» - عهد الرسول ﷺ لنصارى نجران:

«واشترط عليهم أمورًا يجب عليهم في دينهم التمسك والوفاء بما عاهدهم عليه منها: ألا يكون أحد منهم عينًا ولا رقيبًا: لأحد من أهل الحرب على أحد من المسلمين في سره وعلانيته، ولا يأوي منازلهم عدو للمسلمين، يريدون به أخذ الفرصة وانتهاز الوثبة، ولا ينزلوا أوطانهم ولا ضياعهم ولا في شيء من مساكن عباداتهم ولا غيرهم من أهل الملة، ولا يرفدوا أحدًا من أهل الحرب على المسلمين بتقوية لهم بسلاح ولا خيل ولا رجال ولا غيرهم، ولا يصانعوهم.. ولا يظهروا العدو على عورات المسلمين، ولا يخلوا شيئًا من الواجب عليهم»[٢].

فكل حقوق المواطنة مكفولة لغير المسلمين - كالمسلمين - وكل واجباتها كذلك، مفروضة على غير المسلمين - كالمسلمين - أن يكون الجميع لبنات في جدار الأمن الوطني والحضاري، لا ثغرات اختراق!

* * *

ولقد بلغ احترام الإسلام وتقديسه للخصوصيات الدينية لغير المسلمين الحد الذي تجاوز «السماح» بإقامة هذه الخصوصيات في الدولة الإسلامية، إلى «الأمر» بإقامة هذه الخصوصيات.. ففي القرآن الكريم: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة: ٤٧].. ﴿وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٣].

وانطلاقًا من هذا القرآن الكريم، خاطب الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة [٣٥ ق هـ - ٣٠ هـ ٥٨٦ - ٦٥٠م] «المقوقس» - عظيم القبط بمصر - عندما حمل إليه رسالة

رسول الله [illegible] سنة ٨ هـ ـ ٦٢٨م، فقال له: «ولسانا نتهاك عن دين المسيح، وكنا نأمرك به»[٣].

***

ولم تعف هذه السماحة، وهذا التقديس لخصوصيات الآخرين الدينية والثقافية ومؤسساتهم الدينية، عند دولة السلام بل كانت سمة عامة ومرعية طوال تاريخ الإسلام. لأن الدولة الإسلامية التي تحرس الدين، هي الدولة التي تسوس الدين، وتحترمه، وتحترم الكرامة الإنسانية، وتدفع عن الجميع ما يمنعهم من ممارسة شعائرهم الدينية، وهذا ما تعلمه كل تلاميذ مدرسة الإسلام، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا، ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز» [الحج ٤٠].

فعندما فتح المسلمون القدس سنة ١٥ هـ ـ ٦٣٥م أعطى الراشد الثاني عمر بن الخطاب [٤٠ ق هـ ـ ٢٣ هـ / ٥٨٤ ـ ٦٤٤م] أهل القدس ـ من النصارى ـ العهد العمري الذي ضمن لهم:

«الأمان لأنفسهم، وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم. لا تُسكن كنائسهم، ولا تُهدم، ولا يُنتقص من حيّزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُضار أحد منهم»[٤].

ثم عندما حان وقت صلاة عمر بن الخطاب داخل الكنيسة نفسها، فخرج من كنيسة القيامة يعتذر لبطرك القدس «صفرونيوس» [٧٠ هـ ـ ٦٣٨م] عن عدم الصلاة ـ صلاة عمر ـ في الكنيسة حتى لا تتخذ خصائص هذه الصلاة ذريعة للاستيلاء على الكنيسة من قبل المسلمين في قادم الزمان، فكانت صلاة عمر في الكنيسة، بأن تُمسجد حتى في حرمها!!

وعندما فتح المسلمون مصر بقيادة الصحابي الجليل عمرو بن العاص ٥٠ ق هـ ـ ٤٣ هـ / ٥٧٤ ـ ٦٤ م] لم يعتبر الفتح الإسلامي فتحا بمعنى التحرير لأرض من الاستعمار الروماني ـ الذي امتد عشرة قرون ـ وتحرير مصر المسيحية من القهر الروماني المزدوج، وإنما امتد هذا التحرير إلى حيث حرر المسلمون بقية كنائس مصر وأديرتها الأرثوذكسية التي كانت معتصمة من قبل الرومان ومذهبهم الملكاني ـ حتى

[illegible] كنائس مصر قد حُدِّثت وبنيت بعد الفتح الإسلامي[1]

[illegible] «بنيامين» [٣٩هـ/٦٥٩م] [illegible] كنائسه التي حررها الإسلام. فقال:

«... ودخل الأنبا بنيامين بطريرك المصريين مدينة الإسكندرية، وسار إلى كنائسه، وزارها كلها، وكان كل الناس يقولون: هذا النفي، وانتصار الإسلام، كان بسبب ظلم هرقل الملك [٦١٠ - ٦٤١م] وبسبب اضطهاد الرومان للأرثوذكسيين ... وهلك الروم لهذا السبب، وساد المسلمون مصر ... ولم يأخذ عمرو بن العاص شيئًا من مال الكنائس.. وحافظ عليها طوال الأيام»

وفي مهرجان الفرح هذا [illegible] الإسلام لكنائس مصر، [illegible] أعلن البطرك بنيامين أن الإسلام قد حقق أحلامه.. حقًا:

«لقد وجدت في الإسكندرية زمن النجاة والطمأنينة اللتين كنت أنشدهما، بعد الاضطهادات والمظالم التي قام بتمثيلها الظلمة المارقون»[2]

ومع تحرير الإسلام لكنائس مصر، [illegible] الإسلام [illegible] أديرة الرهبان المصريين، [illegible] الفتح الإسلامي [illegible] الرومان في [illegible] وشعاب [illegible] فرحت هؤلاء الرهبان [illegible] عمرو بن العاص، شاكرين له تحقيق أحلامهم [illegible] حتى «ليروى أنه خرج للقائه من أديرة وادي النطرون سبعون ألف راهب، بيد كل واحد عكاز، فسلموا عليه. وأنه كتب لهم كتابًا - [بالأمان] - هو عندهم»[3].

* * *

ـ ٢ ـ

وفى التاريخ : موقفان

ولم تقف هذه السماحة الإسلامية، التى تقاس بمقاسات الآخرين، عند عهد الصحابة والخلافة الراشدة وصدر الإسلام، وإنما ظلت عقيدة إسلامية يضعها المسلمون فى الممارسة والتطبيق، حتى لقد شهد رجل الدين القبطى «ميخائيل السريانى» بعد قرون من الفتح الإسلامى على استمرار هذه السماحة الإسلامية، فقال:

«لقد نهب الرومان الأشرار كنائسنا وأديرتنا بقسوة بالغة، واتهمونا دون شفقة، ولهذا جاء إلينا من الجنوب أبناء إسماعيل لينقذونا من أيدى الرومان، وتركنا العرب نمارس عقائدنا بحرية، وعشنا فى سلام»[٧]

كما شهد على استمرار هذه السماحة أول مؤرخ قبطى [illegible] «ساويروس بن المقفع» ـ فى القرن العاشر الميلادى [illegible]

«وبدأت عمارة ديارات وادى هبيب والمنى، وكانت أعمال الأرثوذكسيين تنمو، وكانت الشعوب فرحين مثل العجول الصغار إذا حُلَّ رباطهم وأطلقوا على ألبان أمهاتهم»![٨]

وهكذا عاشت وتعايشت فى ظل الدولة الإسلامية، والتاريخ الإسلامى [illegible] وازدهرت كل ألوان الطيف الدينى [illegible] وكل المقدسات [illegible] حتى لقد أفتى فقيه مصر الليث بن سعد [٩٤ ـ ١٧٥هـ ٧١٣ ـ ٧٩١م] **«بأن بناء الكنائس يعد من عمارة البلاد»!**[٩]

ولقد كانت القدس التى احتكرها الرومان لأنفسهم، فى عهد وليسهم، وفى عهد نصر بينهم كانت طوال التاريخ الإسلامى العنوان المجسد لسماحة الإسلام مع سائر

[illegible] ـ والمسيحية ـ والمسلمون ـ واليهودية ـ حتى لتشهد «الحجج» أوقاف كنائسها، التي [illegible] هذه الأوقاف بكنيسة [illegible] من «الحجج» أوقاف هذه الكنائس المقدسية على أن تكون [illegible] هذه «الحجج» هذه الكنائس، [illegible] المصرية [illegible] في القدس و لاعتمادات ـ ليؤدي الجميع فيها تقديس و تصوات!

***

و [illegible] هو موقف الإسلام [illegible] و تنقيبي [illegible] في مقدسات الآخرين [illegible] موقف [illegible] الكنسي [illegible] و السياسي ـ من مقدسات الإسلام، ومساجد المسلمين، إبان فترات الاحتلال بين الغرب وعالم الإسلام؟

[illegible] القدس، التي جعلها الإسلام حرماً كبقية المقدسات، وجميع المقدسات، عندما احتلها الصليبيون سنة ٤٩٢ هـ ١٠٩٩م، قتلوا كل من وجدوه فيها من مسلمين ـ ومن اليهود أيضاً أيضاً ـ أبادوا سبعين ألفاً، في مجزرة وحشية رهيبة [illegible] سبعين سنة [illegible] وهي مجزرة شارك فيها مع فرسان [illegible] بطركه الكنيسة الكاثوليكية وقتذاك [illegible] حتى بعضهم [illegible] الكنيسة «السجلات هوليكة» [illegible] التي عدّ [illegible] هؤلاء [illegible] «تطهيراً» [illegible] القدس!

«لقد كان الطريق نفسه يعدو في أزقة بيت المقدس، وسيفه يقطر دماً، حاصداً به كل من وجده في طريقه، ولم يتوقف حتى بلغ كنيسة القيامة وقبر المسيح، فأخذ في غسل يديه تخلصاً من الدماء الملاصقة بها، مردداً كلمات المزمور «يفرح الأبرار حين يرون عقاب الأشرار، ويغسلون أقدامهم بدمهم، فيقول الناس: حقاً إن للصدّيق مكافأة، وإن في الأرض إلهاً يقضي» ـ المزمور ٥٨، ١٠ ـ ١١.

ثم أخذ ـ [الطريق] ـ في أداء القداس، قائلاً: «إنه لم يتقدم في حياته للرب بأي قربان أعظم من ذلك ليرضى به الرب»!![١٠]

و [illegible] لم يرحموا البشر، [illegible] استمر ذبحهم لهم حتى كلّت أيديهم من الذبح و [illegible] فيهم [illegible] المقدسات

فمسجد عمر بن الخطاب عمر [illegible] يعطي الأمان لمن [illegible] حترم حصن صيانه - قد احتمى بمسجده - مسجد فيه الصخرة - جمهور من المسلمين [illegible] بهارسم من بحور ودبح وخرش [illegible] فالمسجد يغص بالمسلمين [illegible] حتى بلغ الخوض للمسجد في بحر دمهم حتى [illegible] المسجد فيه حبل [illegible] الصليبيين في حبل حيل!! [illegible] المؤرخ المصري - جمال الدين السكسفي عن عمر رضا في كتابه [تاريخ الحروب المقدسة في المشرق، المدعوة حرب الصليب] - التي وصف فيها حدث المقدس الشريف على أيدي الصليبيين

«إن ديوان المشورة العسكرية [الصليبي] قيم [اجتمع] - وقطع حكمًا مرهبًا، وهو أن يُحدث كل مسلم باق داخل المدينة المقدسة - وهذا الحكم المهيل قد تم نشر بالعمل، - ودامت هذه المجزرة مدة ستة - [أي سبعة أيام] - كاملة

والمؤرخون يتفقون على أن الإسلام - [أي المسلمين] - الذين ذُبحوا داخل أورشليم بلغوا سبعين ألفًا - ثم إن اليهود قد كانوا داخلين في عدد المحكوم؛ لأن أنقاط الحكم كانت بالموت لكل غير المؤمنين، بدون تمييز المسلم من اليهودي

على أنه باطلاً [أي عبثًا] - كان الإسلام - [أي المسلمون] في أورشليم، في اليوم المذكور، يحدّون مفتشين عن مهرب يحمون به حياتهم؛ لأن هذه المدينة خلت من ملجأ لهم - فعدد كلي منهم قد هربوا إلى جامع عمر، ظنين أنهم هناك يحمون دونهم من الموت، ولكن ظنهم خاب، إذ إن الصليبيين - جيّاشة وحشية محتقنين - قد دخلوا الجامع المذكور، وأدوا بحد السيف كل الموجودين هناك - وحسب تقرير [illegible] يصوبه أجلاس»: فقد صاف الجامع من الدماء حتى أنه تحت القناطر التي عند بابه، حتى الدم وعلا إلى حد الركب، بل إلى حد الخيل - وقال «روبرتوس» الراهب: إن جامع عمر قد استوعب من الدم المحتقن فيه كما بحر متموج، وذلك بعد فتكت به سيوف الجيوش الصليبية أرقاب - [رقاب] الإسلام - [المسلمين].

كانت المذابح رهيبة، جرت دماء المقتولين في شوارع المدينة حتى ارتفع مستوى الدم ووصل إلى ركب من سار فيها

ولما دخل الدماء، اندفع الصليبيون يكون من فرط الصحك!! - بعد أن أتوا على بقية المعاصر - إلى كنيسة القيامة، ووضعوا أكفهم لمعارفة في الدماء على جدرانها، ورددوا الصلوات!!

لقد استحال مصر أورشليم، نعمة، إلى مشهد حديد؛ لأنها في أيام قليلة، انتقلت من ديانة إلى أخرى، ومن شريع إلى غيرها، ومن مراسيم وعوائد إلى أخرى، ومن سكان إلى غيرهم، فالعاطلون أصحوا، أعيت بالغنائم التي امتلكوها بين أيديهم فالقيد «تكريد» قد امتلك جميع الغنى الذي وجد في جامع عمر، وهذه كانت عظيمة المقدار والقيمة، حتى أنه لم تكفهم ست عربات كبيرة لنقلها، وأنه قد استمر مدة يومين في إخراجها من ذلك الجامع»!![11].

[illegible] شهادة شهود العيان من مصريين [illegible] وحرقت في نفس الليلة حتى بالأساسات، وتلك التي ضاعت فيها [illegible] وهي شهادة لا تحتاج إلى تعليق، بل هي مع ذلك تعلق على هذا الذي صنعه الغرب الاستعماري بمقدسات الإسلام [illegible] في مدينة هي جميع مسلمي الأرض [illegible] وهي صنو عنيف لما فعله الغرب الصليبي الاستعماري بالشرق العربي، بمقدساته التي صارت عنواناً عليها في حضارة الإسلام.

ولم يكتف [illegible] بهذا الذي صنعوه، وإنما قاموا بتكرار الفعل نفسه، الذي كان أصحاب الديانات المقدسة، فحولوا المسجد الأقصى إلى كنيسة لاتينية [illegible]

***

[illegible] الاستهانة والإهانة [illegible] في حق المقدسات [illegible] تتعلق بالمقدسات الإسلامية، [illegible] المقدسة، فقد عمدت جنودهم، [illegible] في القسطنطينية، [illegible] شرق سنة ١٢٠٣م، «أخذوا يعيثون بها فسداً كأنهم جراد منتشر ملتهم. فقصدوا على المدينة العظيمة في أسبوع عيد الفصح، وأتوا فيها من ضروب السلب والنهب ما لم تشهده روما نفسها على أيدي القوط أو الوندال، ووزع الأشراف اللاتين قصور المدينة فيما بينهم، وستولوا على ما وجدوه فيها من الكنوز، واقتحم الجنود البيوت والكنائس والحوانيت، وستولوا على كل ما راقهم مما فيها، ولم يكتفوا بتجريد الكنائس مما تجمع فيها خلال ألف عام من الذهب والفضة والجواهر، بل جردوها

فوق ذلك ـ من المخلفات المقدسة، ثم بيعت هذه المخلفات بعدئذٍ بأوروبا الغربية بأثمان عالية.

وعانت كنيسة أيا صوفيا من النهب ما لم تعانه فيما بعد على يد الأتراك سنة ١٤٥٣م، فقد قُطِّع مذبحها العظيم تقطيعاً لتوزع قطعه وذهبه. وامتدت أيديهم إلى التماثيل، والأقمشة، والجواهر، ونقلت الجياد البرونزية الأربعة التي كانت تطل على المدينة اليونانية ـ وجُمِّل بها ميدان القديس مرقس، بروما.. وكانت هذه السرقات المنظمة مصدر تسعة أعشار مجموعات الفنون والجواهر التي امتازت بها كنوز كنيسة القديس مرقس عن سائر الكنائس.

وبُذلت محاولة ضئيلة للحد من اغتصاب النساء، وقنع الكثيرون من الجنود بالعاهرات، ولكن شهوات اللاتين المكبوتة لم ينج منها الكبار أو الصغار، ولا الذكور ولا الإناث، ولا أهل الدنيا أو الدين، فقد أرغمت الراهبات اليونانيات على احتضان الفلاحين أو السائسين البنادقة والفرنسيين!

وبُدِّدت في أثناء هذا السلب والنهب محتويات دور الكتب، وأتلفت المخطوطات الثمينة، أو فُقدت، واندلعت ألسنة النيران بعدئذٍ مرتين في المدينة فالتهمت دور الكتب والمتاحف كما التهمت الكنائس والمنازل.

واستُبدل برجال الدين اليونان غيرهم من اللاتين، ورُسِّم كثير منهم قسوسة دون أن يكون لهم تاريخ سابق في شئون الدين!

وعاد معظم الصليبيين إلى أوطانهم مثقلين بالغنائم التي نهبوها!!

هكذا صنع الصليبيون بعاصمة الكنيسة الشرقية [illegible] وبدأت فيها ـ على حد وصف مؤرخ [illegible] المجرد الاختلاف في المذهب [illegible] في الدين!!

* * *

ـ ٣ ـ

وفى العصر الحديث

ولم تقف هذه الجرائم الوحشية التي ارتكبها الغرب الاستعماري في حق المقدسات الدينية عند عصوره الوسطى والمظلمة.. بل لازمت غزوات هذا الغرب الاستعماري حتى في عصره الحديث ـ عصر النهضة ـ والاستنارة والتنوير:

فـ نابليون بونابرت [١٧٦٩ ـ ١٨٢١م] إبان غزوته لمصر [١٢١٣هـ ـ ١٧٩٨م] فتحمت جيوشه الجامع الأزهر الشريف.. وهو واحد من أعرق المساجد والجامعات في العالم الإسلامي.. والذي أطلق عليه المسلمون غير ذلك ـ وصف «الشريف» مع الحرم المكي الشريف.. والحرم المدني الشريف.. والحرم القدسي الشريف.. فعاثت جيوش الغزوة الفرنسية في حرم هذا الأزهر فساداً، حتى لقد ارتكبوا فيه جرائم القتل والنهب والسرقة وتمزيق المصاحف الشريفة، كتب الحديث النبوي الشريف.. بل لقد بالوا وتغوّطوا وسكروا فيه!

ولقد تحدث مؤرخ ذلك العصر عبد الرحمن الجبرتي [١٧٦٧ ـ ١٢٣٧هـ ـ ١٧٥٤ ـ ١٨٢٢م] عن هذه الجريمة ـ فقال:

«لقد دخل أولئك الوعول [التيوس!!] ـ إلى الجامع الأزهر، وهم راكبون الخيول.. وداس فيه المشاة بالنعالات وهم يحملون السلاح والبندقيات، وتفرقوا في صحنه ومقصورته، وربطوا خيولهم بقبلته، وعاثوا في الأروقة والحجرات، وكسروا القناديل السهارات، وهشموا خزائن الطلبة، والمجاورين والكتبة، ونهبوا ما وجدوه من المتاع والأواني والقصاع، والودائع والمحسات، بالدواليب والخزانات، ودشتوا الكتب والمصاحف، وعلى الأرض طرحوها وبأرجلهم ونعالهم داسوها، وأحدثوا

بالمسجد وتمخطوا، ونالوا وتغوّطوا، وشربوا الشراب وكسروا أوانيه، وألقوها بصحنه ونواحيه.

وكل من صادفوه به عزّوه، ومن ثيابه أخرجوه، ووجدوا في بعض الأروقة إنسانًا فذبحوه، ومن الحياة أعدموه، وفعلوا بالجامع الأزهر ما ليس عليهم بمستنكر؛ لأنهم أعداء الدين، وأخصام متغلبون، وغرماء متشمتون، وضباع متكالبون، وأجناس متباينون، وأشكال متعاندون. وأعطى تلك الليلة جيش الرحمن، فسحة لجيش الشيطان»!!

هكذا صنع جيش الحملة الفرنسية الذي كان يرفع أعلام الثورة الفرنسية وشعارات الحرية والإخاء والمساواة [illegible] وجامعة هي أعرق جامعات الإسلام.

وصدق [illegible] «جيش الشيطان» [illegible] جيش الرحمن»!!

[illegible] الشعب المصري [illegible] الشعب المصري [illegible] من سنة ١٨٣٠م حتى سنة ١٩٦٢م [illegible] مساجدها إلى كنائس.. وعلب ليل.. وخمارات!!

[illegible] الشعب [illegible] الشعب [illegible] ١٩٣٠م [illegible]

* * *

وتكرر جريمة الغرب الاستعماري مع الأزهر [illegible] أخرى - على أيدي المستعمرين [illegible] الشعب المصري سنة ١٩١٩م. فيحاولون إغلاقه في

٢ إبريل سنة ١٩١٩م . وكان شيخه الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي [١٢٦٣ـ ١٣٤٦ هـ / ١٨٤٦ ـ ١٩٢٧ م] يرفض ذلك [illegible] في ١١ ديسمبر سنة ١٩١٩م

ويتحدث الشيخ عبد الحليم محمود [١٣٠٦ ـ ١٣٨١هـ / ١٨٨٩ ـ ١٩٦٦م] عن هذه الجريمة في حق المقدسات الإسلامية، فيقول:

«لقد وقع في يوم ١١ ديسمبر سنة ١٩١٩م ١٨ ربيع الأول سنة ١٣٣٨هـ حادث هزت له أرجاء القاهرة، وأثار عاصفة من السخط والاستنكار في أنحاء البلاد، وهو اقتحام جنود الإنجليزية جامع الأزهر. لقد دخلوه بنعالهم وأسلحتهم مطاردين للمتظاهرين ـ واعتدوا على من صادفوهم بالضرب والإيذاء، فحدث هرج ومرج في الجامع، واقتحم جنود مكاتب الإدارة، وحاولوا كسر الأبواب، ففزع الموظفون، وحدثت صحة كبيرة داخل الجامع وخارجه».

ولقد احتج على هذه الفعلة الشنيعة ـ فعلة «اقتحام الجنود الإنجليز بنعالهم وعصيهم هذا المعهد الإسلامي المقدس والجامعة الإسلامية الكبرى، التي يؤمها طلاب العلوم من جميع الأقطار» ـ احتجو على هذه الجريمة التي تنتهك حرمات المقدسات»

«وقع على هذا الاحتجاج أكثر من مائة من كبار علماء الأزهر الشريف» (٥)

***

[illegible] في [illegible] على [illegible] ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م وهي مدينة صغيرة، لا يتجاوز عدد سكانها الثلاثين ألف نسمة، لا تزيد مساحتها على [illegible] في الطول والعرض أي أنها قرية كبيرة [illegible] على «الشارع» الذي [illegible] الأمريكي عبد الله جدش، [illegible] الأسرى... والإجهاز على الجرحى [illegible] العزل من [illegible] الشيوخ والأطفال، الذين احتموا بهذه البيوت من دمار الأسلحة الفتاكة والمحرّمة دولياً!!

ومن هذه المساجد التي تم تدميرها [illegible] التي حوّل الأمريكان بعضها إلى ثكنات عسكرية يعيث فيها الجنود فساداً!! والتي سوّوا بعضها بالتراب: «جامع [illegible] وجامع الشيخ [illegible] ومسجد الفردوس ـ ومسجد البراءة والهداية ـ ومسجد [illegible] وجامع [illegible] ـ وجامع المدلل ـ ومسجد الحسن والحسين [illegible] ومسجد [illegible] ومسجد [illegible] ومسجد [illegible]»

[illegible] فصول الإهانات والانتهاكات العربية لمقدسات الإسلام والمسلمين.

ومن [illegible] مساجد [illegible] الإمام [illegible] كرم الله وجهه [illegible] مسجد [illegible] [٨٠ ـ ٥٠ هـ / ٦٩٩ ـ ٦٧٠م] [illegible] من المقدسات [illegible] والتاريخية في العراق.

فهل يكون هذا الفصل فصل الخزي والعار الأمريكي بالعراق هو خاتمة هذه الفصول [illegible] على مر تاريخ الاستعمار الغربي للشرق الإسلامي؟!

[illegible] فصل الخزي والعار الأمريكي والغربي في [illegible] المقدسات الإسلامية [illegible] هذه الفصول [illegible] في ٩ [illegible] سنة ٢٠٠٥م [illegible] الأمريكان [illegible] الصحف [illegible] هناك!! [illegible] «فتفوقو» على فعلة جنود بونابرت في الأزهر الشريف!!

ومع ذلك [illegible] الضمير العربي صامتاً إن لم نقل ميتاً ـ إزاء الانتهاكات لحرمات المقدسات [illegible] هذه المقدسات خاصة [illegible] الإسلام والمسلمين؟

* * *

[illegible] الصهيونية [illegible] الإسلامية [illegible] هذه الصفحة [illegible] الصهيونية [illegible] في هذه [illegible]

ـ ٤ ـ

وفى معاملة الأسرى.. واحترام العهود

على الرغم من قيمة «اتفاقات جنيف» سنة ١٩٤٩م من قواعد تحكم معاملة أسرى الحروب [illegible] الذين يتحولون إلى ما يشبه الأسرى، في ظل الاحتلال العسكري لبلادهم [illegible] إلا أن هذه القضية قد أثيرت بحدة في السنوات الأخيرة، وذلك بسبب المعاملات غير الإنسانية واللاأخلاقية والوحشية التي شاعت في معاملة الأسرى على ساحات كثيرة من ساحات الصراعات المعاصرة.

[illegible] الشعب الفلسطيني، قد أصبح أسيراً لأنه [illegible] العنصرية اليهودية، محروماً من أدنى حقوق الأسرى! فحتى جرحى هذا الشعب المجاهد يتركون ليترف دماؤهم فيموتون صبراً.. وتمنع سيارات الإسعاف من إنقاذ حياتهم [illegible] وتضرب سيارات الإسعاف [illegible] على نحو لا مثيل له حتى في حروب النازيين والفاشيين.. وربما التتار أيضاً [illegible] في حماية الهيمنة الغربية والأمريكية، التي ضاعت دونها اتفاقات جنيف سنة ١٩٤٩م!

[illegible] من آلاف الفلسطينيين [illegible] الأمر معهم حد الحرمان من الحقوق، ووصل إلى التعذيب «الفني المنظم»، الذي قننته «العدالة الصهيونية»!

وأسرى الشعب الأفغاني، الذين سقطوا بيد الأمريكان وحلفائهم سنة ٢٠٠٢م قد صُبّ عليهم الزيت في «قلعة جانج».. بشمال أفغانستان وحُرقوا حرقاً!! ومن أفلتوا من الحرق شحنوا في «حاويات» شحن البضائع، فماتوا حتفاً!!

[illegible] والعلمي!» للأسرى الذين وقعوا بيد الأمريكان، من «جوانتانامو» إلى «كابول»!

ثم جاء المشهد العراقي الدامي، الذي أقامه العدوان الأمريكي البريطاني على العراق منذ سنة ٢٠٠٣م على العراق. وهو المشهد الدامي في إذلاله، والمذل في دمويته ولا إنسانيته. والذي فضحت قطرات من محيطه في سجن واحد من سجونه، هو سجن «أبو غريب»، ما تقرب من عشرة آلاف سجين، حسب شهادة الجنرال الأمريكي تيكوت، الذي أشرف على سجون العراق في مطلع الاحتلال، وهي مقدمة فظيعة لما سيكون عليه وضع السجون والمعتقلات والسجناء الذين هي كل ما تبقى للأسير والسجين!!

ثم جاءت حوادث فردية، تمت فيها تصفيات جسدية لعدد من المعتقلين في خدمة المجهود الحربي لقوات الاحتلال الأمريكي في العراق، حيث قتلت هذه الجماعات عددًا من هؤلاء «الأسرى» و«المعتقلين»، عندما لم تستجب دولهم أو شركات أمنية تعمل لحسابها لمطالب هذه الجماعات، التي تتراوح ما بين المطالبة بالإفراج عن أسرى، وبين المطالبة بموقف إسلامي من قضية الأسرى، وبين هذا وذاك تتراوح صفحات التاريخ الإسلامي في قضية الأسرى، كما تتراوح صفحات التاريخ العربي في هذا الموضوع. فقضية الأسرى، تكون من أهم الموضوعات التي تتسع لها صفحات التاريخ بحثًا عن علاقات الأمم فيما بينها في وقت الحرب، ومن هنا جاء هذا الموضوع: «القديم الجديد»!

***

وبدأ الأسر منذ أن كرم الله الجنس البشري، وأسكن آدم وحواء الجنة، وأباح لهما الطعام المحبوب والمطلوب على النفس، صفة من صفات المؤمنين الأبرار، الذين وعدهم الله سبحانه وتعالى بالنعيم المقيم، فقال سبحانه: ﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا * عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا * يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا * ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا * إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا * إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا * فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا * وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا *﴾ [الإنسان ٥ ـ ١٢]

[illegible] الأسرى [illegible] من [illegible] الأسرى [illegible] في [illegible] قوة [illegible] الإنسانية و الإيثار

و [illegible] ذكر "[illegible]" [٣٦٤ ٤٥٠هـ ٩٧٤ ١٠٥٨م] [illegible] الأسرى [illegible] رسول الله [illegible] الأسرى [illegible] ٢٤م] [illegible] من [illegible] هؤلاء [illegible] رسول [illegible] بقتله [illegible] أبو بكر الصديق [٥١ ق هـ-٣ هـ ٥٧٣-٦٣٤م]، وعمر بن الخطاب [٤٠ ق هـ ٢٣هـ/ ٥٨٤-٦٤٤م]، وعلي بن أبي طالب [٢٣ق هـ-٤٠هـ، ٦٠٠ [illegible] و [illegible] [illegible] [illegible]

عليهم حرية دون مقابل أو بالفداء هو جهد و بلاء و امتحان من الله تعالى للمؤمنين، ولو شاء الله لانتصر و نقم هو من هؤلاء الأسرى - كما فعل بالمؤمنين الذين استشهدوا من الأسرى، وقد قضت مشيئة الله أن يبقى هؤلاء الأسرى على قيد الحياة ليتعلموا و يعلموا ما يذهب أثر الجاهلية من صدور أصحابها ليكونوا بعد ذلك أفراداً صالحين، وصلاح الفرد يعني صلاح المجتمع في حينه *والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سيهديهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم* [محمد ٤ - ٦] فلا داعي للاعتقاد أنهم من الأسرى وإنما هو من أولئك الذين قتلوا!

وقد كانت سنة الله التشريعية هي تبيان الرسالي و تطبيق الأمين لها بسلاح القرائي... وإذا كان الرسول ﷺ قد قتل واحداً و ثمانين من أسرى بدر - كما يقول بعض الناس - فإنهم لم يفعلوا ذلك بحكم الأسر و لا نصوا على كل الأسرى و لا على من في قبضته من جرائم ارتكبها، وكان مصيرها التصفية حتى فيمن قتل من الأسرى، فلا محل لمقارنة هذين الموقفين بما فعله الرسول ﷺ في أسرى يوم بدر.

أما المقتولون من بني قريظة - عقب غزوة الأحزاب [٥هـ - ٦٢٧ م] فقد قُتلوا كأسرى، وإنما قُتلوا جزاء خيانتهم، ووفق حكم التحكيم الذي ارتضوه هم و حلفاؤهم حكماً... فلم يكونوا أسرى معركة قتالية، وإنما كانوا جزاء للعهود و المواثيق بعد شدة و نصرة يوم غزوة الأحزاب، عندما تحازبوا إلى الأعداء.

هذا هو موقف الإسلام من الأسرى كما حدده الله تعالى في محكمة في القرآن الكريم... وكما وضعه رسول الله ﷺ في ممارسته و تطبيقه.

ولقد مضى هذا الموقف الإسلامي سنة متبعة على امتداد تاريخ الإسلام... فلم يمارس المسلمون سبيل الانتقام من الأسرى، حتى عندما سلك الغرب الصليبي سبيل القتل لأسرى المسلمين، طوال ذلك التاريخ!

***

فعندما استولى الغرب الصليبي على القدس [٤٩٢هـ-١٠٩٩م] قد ذبحوا وأحرقوا كل من وقع

في أيديهم من المسيحيين، حتى الشيوخ والنساء والأطفال الذين سمعوا بقدوم جيش صلاح الدين حتموا للمسجد القبة الصخرة، مسجد عمر، فخطب الخطيب الواعظ فيهم، وحثهم على الاستشهاد في سبيل دينهم، كما يذكر عن شهود عيان من المسلمين المصراني صاحب كتاب [تاريخ الحروب المقدسة في المشرق][11]!

ولم يعترف جيش صلاح الدين الأسرى والمدنيين غير المحاربين في مدينة القدس بالحق في الحياة، وحتى هؤلاء الذين كانوا يدينون بالمسيحية، ولم يحملوا السلاح في مقاومتهم، اجترحوا هذه الفظائع والسيئات. وبعد وصف [illegible] صليبي "استشاط غضبًا صليبي "البطريرك نفسه في هذه المذبحة. عندما كان يعدو في أزقة بيت المقدس، وسيفه يقطر دمًا، حاصدًا به كل من وجده في طريقه، ولم يتوقف حتى بلغ كنيسة القيامة وقبر المسيح، فأخذ في غسل يديه تخلصًا من الدماء اللاصقة بها، مرددًا كلمات المزمور:

«يفرح الأبرار حين يرون عقاب الأشرار، ويغسلون أقدامهم بدمهم، فيقول الناس: حقًا إن للصديق مكافأة وإن في الأرض إلهًا يقضي». مزمور ٥٨: ١٠ ـ ١١

ثم أخذ في أداء القداس، قائلًا: «إنه لم يتقدم في حياته للرب بأي قربان أعظم من ذلك ليرضى به الرب»[17]!

[illegible] أبرار يتوثبون على أنفسهم وهم كل يوم يحصون قصصهم ويعدونها على حبات مسبحة ويتيمًا وأسيرًا. ويجاهدون لنزع الشر [illegible] حتى يتطهروا، ويحاربون [illegible] حتى يشهدوا [illegible] حتى يشهدوا تعبيرًا [illegible] وتذهب [illegible]

وفي المقابل ـ تعريبي ـ هناك «أبرار» يفرحون عندما يغسلون بدماء الأسرى واعتقدوا أن هذا هو القضاء الإلهي، مكافأة للصديقين... والقربان الأعظم لدى يتقربون به إلى الله!!

[illegible] حتى [illegible] الذي جعل [illegible] سفك دماء الأسرى أعظم القربات الجليلة لرضاه!

[illegible] من صفحات التعامل مع الأسرى، يمكن [illegible] أن تعرض صنيع صلاح الدين الأيوبي [٥٦٤ـ٥٨٩هـ / ١١٦٩ـ ١١٩٣م] [illegible] وهي صفحة مليئة بالوقائع المضيئة، والقصص الإنسانية، والأخلاقيات [illegible]

وصفحة أخرى من صفحات تاريخ التعامل مع الأسرى [illegible] سطرتها وقائع [illegible] [illegible] محاربين؟

[illegible] إنهم أبادوا جميع من بها، بناء على أوامر البابا ومبعوثيه الكرادلة ورجال الكنيسة»!

[illegible] [٥٧٦ـ٦٣٥هـ / ١١٨٠ـ١٢٣٨م] في معرفة [illegible] [٦١٨هـ / ١٢٢١م]؟ [illegible] جميع الأسرى المسلمين؟

[illegible] على «أن الملك الكامل عندما انتصر على هذه الحملة الصليبية، أكرم أسراهم ولم يقتص منهم [illegible] بالسن، وإنما أطعمهم في مسغبة أربعة أيام طوال، مرسلاً إلى جيشهم المتضور جوعاً كل يوم ثلاثين ألف رغيف، ومواد غذائية أخرى.

ولقد شهد بهذا الإكرام أحد هؤلاء الأسرى ـ عالم الفلسفة اللاهوتية القسيس «أوليفروس» ـ من كولونيا [illegible] على نهر الراين، بألمانيا ـ فكتب رسالة إلى الملك الكامل، قال فيها:

«منذ تقادم العهود، لم يسمع المرء بمثل هذا الترفق والجود، خاصة مع أسرى العدو اللدود. ولما شاء الله أن يكون أسراك، لم نعرفك مستبداً طاغية، ولا سيداً داهية، وإنما عرفناك أباً رحيماً، شملنا بالإحسان والطيبات، وعيوناً منقذاً في كل النوائب والملمات. ومن ذا الذي يمكن أن يشك لحظة في أن مثل هذا الجود والتسامح والرحمة من عند الله؟

إن الرجال الذين قتلتهم وأسرهم وسباتهم وحرقهم وأحرقتهم، وأذقتهم مر العذاب، ما عدوا أسراهم، وكنت تموت جوعًا، راحوا يؤثرون على أنفسهم على ما بهم من خصاصة، وأسدوا إليك كل ما استطاعوا من إحسان، بينما كنت تحت رحمتهم لا حول لنا ولا سلطان!»[١٨]

[illegible] لأنني أستغرب "[illegible]
[illegible] على حرب [illegible] لأسرى، [illegible]
[illegible] مع حيشه [illegible] [illegible] أنفسهم [illegible]
وزملاءه على أنفسهم - مع الخصاصة - كيف هذا الرجل يدرك، دون أن يدري أن هؤلاء المسلمين إنما كانوا يقيمون الدين الإسلامي، ويجسدون [illegible] في [illegible]
روح الأمر على [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] - «ومن الذي يشك لحظة أن مثل هذا الجود والتسامح والرحمة من عند الله؟!»

* * *

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [

ثم تقصي هذه الشهادة الغريبة، بعد أن ذكرت أن صفة ملك «ريتشارد قلب الأسد» هي الأسد الأسير لأسرى مسلمين، بعد أن قطع لهم عهد الأمان! فتقول:

«وعلى العكس من المسلمين، لم تعرف الفروسية المصرية أي التزام حقيقي تجاه كلمة الشرف أو الأسرى.. فالملك ريتشارد قلب الأسد، الذي أقسم بشرفه لثلاثة آلاف أسير عربي أن حياتهم آمنة، إذ هو فجأة منتقص السراح، فيأمر بذبحهم جميعًا»[١٩]

***

وتستمد صفحات تاريخ هذا الصراع في تعاملها وموقفها من الأسرى بعد وقوعهم في قبضة العدو ما يجعلها تتعامل مع الأسرى بين الشرق الإسلامي والغرب الاستعماري ـ فنجد موقف الحملة الفرنسية، التي قادها «نابليون» [١٧٦٩ ـ ١٨٢١م] والتي جاءت إلى البلاد رافعة أعلام الثورة الفرنسية، وشعارات «الحرية» و«الإخاء» و«المساواة»، و«فيلسوف الأنوار» تحدد قفص من الأسرى المحتشدين في صباح يوم الأربعاء [١٢١٤هـ ١٧٩٩م] مع من هم مدينة «يافا» في فلسطين، مع آلاف الجنود المسلمين الذين وقعوا في الأسر بعد احتلال المدينة لأيام على حسابهم

إن الصورة التي تحملها ذاكرة الأسرى، هذه الصفحة من صفحات التعامل المؤسسي مع الأسرى المسلمين، وهي صفحة «نابليون» سنة ١٧٩٩م ـ أي في الذكرى السبعمائة لمذبحة الصليبيين لأول مدينة تحتل وتسبى

ولقد سجل المؤرخون الفرنسيون هذه الصفحة، وتنبه عليهم المؤرخ المصري عبد الرحمن الرافعي [١٣٠٦ ـ ١٣٨٦هـ / ١٨٨٩ ـ ١٩٦٣م] فقال:

«لقد وصل نابليون بجيشه قرب يافا يوم ٣ مارس سنة ١٧٩٩م، وكان الجيش العثماني، بقيادة عبد الله باشا الجزار [١١٣٢ ـ ١٢١٩ هـ / ١٧٢٠ ـ ١٨٠٤م] متحصنًا بها، فحاصرها نابليون بجنوده، واستولى عليها يوم ٧ مارس، بعد معركة شديدة قتل فيها من جنود العثمانية نحو ٢٠٠٠ قتيل، ودخل الفرنسيون المدينة، وأعملوا فيها السيف والنار

لقد نهب الجنود الفرنسية يافا، وارتكبوا فيها من الفظائع ما تقشعر منه الأبدان ـ

باعتراف المؤرخين الفرنسيين ـ واستمر النهب والقتل يومين متواليين، واضطر الجنرال «روبان ـ Robin» ـ الذي عينه نابوليون قائداً للمدينة ـ أن يقتل بعض الجنود لإعادة النظام، فذهب جهده عبثاً. ولم ينقطع النهب إلا بعد أن كَلَّ الجنود من الاعتداء وسفك الدماء.

ويقول بعض المؤرخين إن الدماء التي سُفكت في يافا، وأشلاء الجثث التي تُركت بها عدة أيام، كانت من أسباب انتشار الوباء بين العسكر، وهو الوباء الذي كان من العوامل الرئيسية لإحفاق الحملة الفرنسية على سورية.[٢]

[illegible] حدث بالقدس سنة ١٠٩٩م حدث في يافا سنة ١٧٩٩م، فعندما استمرت المجزرة والإبادة للأتراك والأسرى حتى «كلَّت أيدي الجنود» من القتل والذبح وسفك الدماء! وهذا ما عبر عنه «الكنت لايدي من حيث» بحرف في وصف مجزرة القدس سنة ١٠٩٩م بكتاب [تاريخ حروب الصليبيين في المشرق المدعو حرب الصليب] بمجلد لاون ص ١٧٤ ـ كما تحدث بحرفه ـ في وصف مذبحة نابوليون في يافا سنة ١٧٩٩م!]

كما تحدث [illegible] الإخباري «ريشار دفيس لأسد» مع آلاف الأسرى المسلمين، الذين ذبحهم بعد أن أعطى لهم الأمان! بعكس صنيعه بقائد الفرنسي «مونبرت» عقب استسلامه على يافا سنة ١٧٩٩م، مع ثلاثة آلاف من أسرى الجيش العثماني، الذين أبقاهم على حياتهم، ثم عفا عنهم وذبحهم، في مجزرة وصفها المؤرخون الفرنسيون، ونقل وصفها عنهم المؤرخ عبد الرحمن الرافعي، فقال:

«ولم يكد ينقطع النهب بمدينة يافا، حتى أعقبته مأساة أخرى أشد هولاً وفظاعة، وذلك أنه بعد انتهاء المعركة ودخول الفرنسيين المدينة، كان بها من الجنود العثمانية نحو ثلاثة آلاف مقاتل، اثروا التسليم وإلقاء السلاح في يد الفرنسيين بشروط اتفقوا عليها مع اثنين من ياوران نابوليون، وهما «بوهارنيه ـ Beauharnais» و«كروازييه ـ Croisier» ومن هذه الشروط أن تصون لهم أرواحهم بعد التسليم، وتعهد الياوران بذلك باسم القائد العام ـ [بونابرت] ـ وتلقاهم الفرنسيون كأسرى حرب، ولكن نابوليون، بعد أن فكر طويلاً في أمرهم، وتردد في شأنهم، أمر بقتلهم

جميعًا رميًا بالرصاص. وحجته في ذلك أنه كان عاجزا عن إطعامهم وحراستهم في بلاد نائية لم يستتب له فيها الأمر!! فسيق أولئك الأسرى إلى شاطئ البحر وأعدموا جميعًا رميًا بالرصاص!!!

«لقد نقل الرافعي عن مؤرخ "رسمي" صاحب كتاب [تاريخ الحملة الفرنسية] ـ وأشار هذه المحررة وعلق عليها ـ الذي قال فيه «إن ثلاثة آلاف من الأعداء قُتلوا مرة واحدة. ولكن الجنود الذين قد زاد عددهم، وتضاعفت جهودهم للأحد بالثأر، ورأوا في مصير إخوتهم الذين دبحهم الفرنسيون نموذجًا للإنسانية الفرنسية، فأصبح القتال بينهم وبين الجيش الفرنسي صراعًا إلى الموت. وحصد نابوليون تحت أسوار عكا ما غرسه على شاطئ يافا»[٢]

***

تلك لوحة شاهدة، وهي مجرد لوحة من صفحات من التاريخ، مليئة بالدروس والعبر والمعجزات والدلالات والإيحاءات

١ ـ صفحة تحدثت عن مقاومة الإسلام والمسلمين التي نواجهها اليوم كما واجهها أسلافنا منذ فجر تاريخ الإسلام. وعبر هذا التاريخ

٢ ـ وصفحة تحدثت عن استيطان الاستعمار المغروس قسرا في قلب وطننا الكبير التي نواجهها اليوم على أرض فلسطين والتي واجهها أسلافنا على مدى الأرض ـ في تاريخنا الإسلامي الوسيط

٣ ـ وصفحة عودة الاستعمار بأشكاله في بلاد الإسلام التي نواجهها اليوم والتي واجهها منذ أخرجت بقسوة، وحتى عودة الاستعمار بأشكاله الجديدة للبلاد

٤ ـ وصفحة المواقف من المقاومة الشعبية وكيف تعامل معها الإسلام وكيف تعامل معها الغربيون، على مدى تاريخ صراعهم ضد الإسلام والمسلمين

٥ ـ وصفحة التعامل مع الأسرى وكيف تعامل معها الإسلام وأمته وحضارته وكيف وقف منها الغرب بمواقفه المتغيرة والثابتة على مدى تاريخ صراعه مع الإسلام؟

وإذا كانت هذه الصفحات - من التاريخ - هي مجرد نماذج وإشارات [illegible] صفحات:

* التاريخ الإسلامي في الانفتاح على الحضارات غير الإسلامية [illegible] وسير وجهود العلماء الذين أبدعوا في مختلف ميادين العلم المدني منذ فجر ظهور الإسلام.

* والتاريخ الإسلامي في ميادين التربية وتهذيب القلوب.

* والتاريخ الإسلامي للمجاهدين الذين فضلوا الرباط على ثغور الإسلام على العكوف في المحاريب.

* والتاريخ الإسلامي لتحرير المرأة [illegible] وأي صنع - في ممارسة النبوة [illegible] وزيادات نسائية، شاركت في إقامة الدين وبناء الدولة وصناعة الحضارة [illegible] وستمرت بعطي وتعلم وتبدع [illegible] تاريخنا الحضاري - رغم ما أصاب حضارتنا من تراجع وهبوط وجمود.

* والتاريخ الإسلامي مع الخوارج، الذين مثلوا تزييفاً للدولة الإسلامية والمجتمعات الإسلامية .. دون أن يحققوا أكثر من هذا التزييف!

* والتاريخ الإسلامي لمؤسسات الوقف، التي مولت [illegible] صناعة الحضارة الإسلامية، وإقامة العدل الاجتماعي على مر هذا التاريخ.

وغيرها .. الكثير .. والكثير من صفحات التاريخ.

إنها صفحات، يمكن للدراسات التاريخية أن تقدمها من خلال وسائل الإعلام المعاصر، لتثقيف الأمة بالقيم الإسلامية، [illegible] بالسلوكيات العربية [illegible] ولتصحيح المفاهيم الإسلامية المعاصرة، بحقائق الإسلام وتاريخ أمته [illegible] والرد كيد المتربين على الإسلام وأمته وحضارته وتاريخه.

* * *

إنها صفحات من الوعي بالتاريخ - وليس مجرد القراءة للتاريخ - تضع [illegible] المقارنة - حقائق الإسلام إزاء موقف من المقدسات، في مواجهة صفحات الخزي والعار التي جسدها تاريخ الغرب الاستعماري إزاء مقدسات الإسلام والمسلمين.

الهوامش:

(١) بن القيم [زاد المعاد من هدى خير العباد] جـ٣ ص ٥٤٩، ٥٥٠ تحقيق شعيب الأرناءوطي، عبد القادر الأرناءوطي، طبعة بيروت، سنة ١٩٩٧م

(٢) د. محمد حميد الله ـ محقق ـ [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة] ص ١١١ ـ ١٢٨، طبعة القاهرة، سنة ١٩٥٦م.

(٣) بن عبد الحكم [فتوح مصر وأخبارها] ص ٤٦، طبعة لندن، سنة ١٩٢٠م

(٤) [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة] ص ٣٤٥، ٣٤٦

(٥) [تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي] ص ٢٠١، ٢٢٠. ترجمة ـ ودراسة. د. عمر صابر عبد الجليل. طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م

(٦) د. صبري أبو الخير سليم [تاريخ مصر في العصر البيزنطي] ص ١٩٤ طبعة القاهرة سنة ٢٠٠١م

(٧) المرجع السابق. ص ٦٢

(٨) ساويرس بن المقفع [تاريخ البطاركة] جـ١. والنقل عن: سناء المصري [حكايات الدخول] ص ١٣٥. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٦م.

(٩) المقريزي. [الخطط] جـ٣ ص ٥٣٧، ٥٣٨. طبعة دار التحرير القاهرة. والكندي. أبو يوسف ـ [كتاب الولاة والقضاة] ص ١٣٢. طبعة بيروت سنة ١٩٠٨م

(١٠) سيجريد هونكه [الله ليس كذلك] ص ٢٢ ترجمة د. غريب محمد غريب، طبعة القاهرة سنة ١٩٩٥م

(١١) مكسيموس مونرويد [تاريخ الحروب المقدسة في المشرق، المدعوة حرب الصليب] المجلد الأول ص ١٧٢، ٧٦ ترجمة مكسيموس مظلوم طبعة أورشليم سنة ١٨٦٥م

(١٢) ول ديورانت [قصة الحضارة] المجلد الرابع، الجزء الرابع، ص ٤٦ ـ ٥٣، طبعة القاهرة

(١٣) الجبرتي، [مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس] ص ٧٢ تحقيق د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٨م

(١٤) عبد الرحمن الرافعي [ثورة سنة ١٩١٩م] جـ١ ص ١٧٥ طبعة دار الشعب القاهرة

(١٥) المصدر السابق، ص ٧٦ ـ ٧٨

(١٦) صحيفة [العالم الإسلامي]، مكة المكرمة العدد ١٨٦٧ في ١٦ شوال سنة ١٤٢٥هـ الموافق ٢٩ نوفمبر سنة ٢٠٠٤م

(١٧) سيجريد هونكه [الله ليس كذلك] ص ٢٢ ترجمة د. فريد محمد فريد طبعة القاهرة، سنة ١٩٩٥م

(١٨) المرجع السابق ص ٣٣، ٣٤.

(١٩) المرجع السابق، ص ٣٤

(٢٠) عبد الرحمن الرافعي [تاريخ الحركة القومية] جـ٢ ص ٢٩ طبعة القاهرة، سنة ١٣٧٨هـ ١٩٥٨م

(٢١) المصدر السابق، جـ٢ ص ٣٠

***

المصادر والمراجع

* ابن عبد الحكم [فتوح مصر وأخبارها] طبعة ليدن سنة ١٩٢٠م

* ابن القيم: [زاد المعاد من هدى خير العباد] تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، طبعة بيروت سنة ١٩٩٧م

* الجبرتي [مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس] تحقيق د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، طبعة القاهرة سنة ١٩٩٨م

* سماه المصري [حكايات المدحول] طبعة القاهرة سنة ١٩٩٦م.

* سيجريد هونكة [شمس الله تسطع على الغرب] ترجمة د. فاروق بيضون ومحمد حلمي هريدي، طبعة دار الشروق القاهرة سنة ١٩٩٥م

* د. صبري أبو الخير سليم [تاريخ مصر في العصر العثماني] طبعة القاهرة سنة ٢٠٠١م

* عبد الرحمن الرافعي: [ثورة سنة ١٩١٩م] طبعة دار الشعب ـ القاهرة

[تاريخ الحركة القومية] طبعة القاهرة سنة ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م

* الكندي ـ أبو يوسف: [كتاب الولاة والقضاة] طبعة بيروت سنة ١٩٠٨م

* د. محمد حميد الله ـ محقق [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي و الخلافة الراشدة] طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م.

* المقريزي [الخطط] طبعة دار التحرير القاهرة

* مكسيموس مونروند [تاريخ الحروب المقدسة في المشرق، المدعوة حرب الصليب] ترجمة مكسيموس مطوم، طبعة أورشليم سنة ١٨٦٥م

* ول ديورانت، [قصة الحضارة] طبعة القاهرة

* يوحنا النقيوسي [تاريخ مصر ـ يوحنا النقيوسي] ترجمة ودراسة د. عاطف صدقي محمد جديل، طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م

دوريات: [العالم الإسلامي] مكة المكرمة.

* * *

خيرية الأمة

«شروط مكتسبة لا عنصرية موروثة»

- ١ -

تمهيد

عندما يكون الحديث عن الصفات والشمائل التي يتحلى بها الإنسان على مستوى الأفراد والجماعات، فإن هناك حدودًا فارقة بين «**الصفات اللصيقة**» وبين «**الصفات المكتسبة**»، فإن يكن الإنسان طويلًا، قصيرًا، أسود أو أبيض أو أصفر، مرسل الشعر أو أجعده، عربيًا أو أعجميًا، شرقيًا أو غربيًا، من سكان الشمال أو الجنوب، إلخ، إلخ، فهي جميعًا وأمثالها «**صفات لصيقة**» لا يتفاضل فيها أو بها إنسان على إنسان أو أمة على أمة؛ لأنها صفات جبلية وطبيعية، لا دخل للإنسان في الاتصاف بها، ولا حيلة في تغييرها، حتى إذا أراد لها التغيير.

وبذلك، فليس من العدل ولا من الحكمة أن يتفاضل الناس بهذا النوع من الصفات، وإلا كان ذلك تكليفًا للناس بما لا يطاق، وبما لا يستطيعون إليه سبيلًا ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]

أما الصفات التي يتم فيها وبها التفاضل بين الناس، فهي «**الصفات المكتسبة**»، التي تخضع اكتسابها والتفاوت في درجاتها للإرادات والطموحات والمهارات، وذلك من مثل «الإيمان» و«التقوى» و«محاسن الأخلاق» و«النزاعة في العلوم والفنون والآداب»، وفي «المهارات» التي تضع العلوم والفنون في الممارسات والتصنيفات. فهذه «**الصفات المكتسبة**» تتمايز الناس، أفرادًا وجماعات، ويتفاضلون ويتسابقون على درجات سلم «الخيرية»؛ لأن اكتساب هذه الصفات والتسابق في ميادينها هو ما تستطيعه الكافة، بحسب ما لديهم من عزائم وإرادات وقدرات ومهارات، وبقدر ما يبذلون في ذلك من مجهودات وتضحيات.

وبهذه الحقيقة البديهية، وجدنا العدل الإلهي يحدثنا عن أن التكريم - تكريم الخالق سبحانه وتعالى - إنما كان لمطلق بني آدم. «فالخلق» صفة لصيقة بجميع بني آدم، والنفخ فيهم من روح الله، وهو سر التكريم - عام يستوي فيه الجميع، وكذلك «التسخير» الإلهي لكل قوى الطبيعة للإنسان مطلق الإنسان، هو من قضاء الحكم الذي شاءته الحكمة الإلهية. ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ [الإسراء: ٧٠]

وتحت هذا التكريم العام يأتي التفاضل والتفاوت والتمايز في الصفات الإنسانية المكتسبة، ومنها «التقوى» و«العلم» - مثلاً - فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ [الحجرات: ١٣]. فالخلق من ذكر وأنثى، وتقسيم الخلائق إلى شعوب وقبائل، هما من الصفات اللصيقة. أما التفاضل بالتقوى فهو مما يكتسبه الإنسان، وتتفاوت فيه الدرجات والقدرات. وكذلك الحال مع «العلم»: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب﴾ [الزمر: ٩]

* * *

- ٢ -

خيرية مشروطة

وبهذه الحقيقة من حقائق العدل الإلهي، كان حديث القرآن الكريم عن خيرية الأمة الإسلامية. وعن أنها خير أمة أخرجت للناس - حديثًا عن **خيرية مشروطة** باكتساب هذه الأمة لمجموعة من «**الصفات المكتسبة**»، تتوقف خيريتها ومقادير هذه الخيرية على ما حصّلت هذه الأمة من هذه الصفات.. وليس حديثًا عن «**خيرية مطلقة**»، تدعيها هذه الأمة بحكم العرق أو الجنس أو اللون أو الميراث أو التاريخ أو أية صفة من «**الصفات اللصيقة**» التي لا فضل لها في تحديد معايير الخيرية ودرجاتها.

وإذا نحن ذهبنا إلى السياق القرآني الذي تحدث عن خيرية الأمة الإسلامية، وتميزها بهذه الخيرية عن غيرها من الأمم، نجد مصداق هذا المنهج الذي تحدثنا عنه وحددناه. ففي هذا السياق الذي تحدثت فيه آيات سورة آل عمران ١٠٢ - ١١٠ عن هذه الخيرية - نجدها مشروطة باكتساب هذه الأمة الإسلامية، وتحقيقها وتصفها بعديد من القيم والمبادئ والشروط..

وذلك من مثل:

١ - أن تكون هذه الأمة «**أمة مؤمنة**»، جامعة في إيمانها كل أركان الإيمان: الإيمان بالله، واليوم الآخر، وبدين الله الواحد، وبسائر الكتب والنبوات والرسالات. وذلك حتى لا تكون هذه الخيرية مجرد «منافع» دنيوية، يحسبها العقل المجرد عن الشرع، بعيدًا عن الانتماء لخالق الخير وواهبه للإنسان.

٢ - وأن تتقي هذه الأمة - كي تحقق الخيرية على غيرها من الأمم - على سلم الإيمان، فتحقق مستوى «**التقوى**»، التي هي الضمير الحي للمؤمن، الذي يتقي

ويتجنب كل ما يغضب مولاه. وللخيرية في هذا المستوى درجات، أعلاها أن يتقي الله حق تقاته ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وأدناها أن يتقي الله قدر المستطاع ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ [التغابن: ١٦]. وللاستطاعة هي الأخرى درجات يتفاوت في طلبها وتحقيقها المتقون.

٣- وأن لا تكون هذه التقوى منصوبة على ذات الفرد التقي؛ لأن الإسلام دين الجماعة، وكثير من فرائضه وتكاليفه جماعية واجتماعية، لا تتأتى ولا تُقام إلا في وطن وأمة وجماعة واجتماع، حتى إذا هيأته الإسلام كانت الجهاد في سبيل الله، وليست الغزوة الفردية التي تبغي إخلاص الفردي عن طريق إدارة الظهر للجماعة والمجموع. ولذلك كانت خيرية الأمة الإسلامية مرهونة بتحقيق فريضة التأليف والألفة والاتحاد والاعتصام بحبل الله..

٤- أما الشرط الرابع لخيرية الأمة الإسلامية، فإنه شرط عام يشمل سائر فرائض العمل الاجتماعي العام. إنه شرط أن تكون هذه الأمة آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر.. مغيرة للمنكر إذا وقع..

* فإقامة العدل مع الذات ومع الآخر - حتى لو كان يكرهه، أو حتى يحاربه.

* وإشاعة منهج الوسطية الإسلامية الجامعة - في الفكر والتطبيق.

* وإقامة الشورى - في الأسرة.. والمجتمع.. والدولة.

* والتكافل الاجتماعي، الذي يحقق عدالة التوازن، والتوازن العادل بين شرائح المجتمع الإسلامي وطبقاته حتى تكون الأمة كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

* وتحقيق قيمة الحرية - المضبوطة بضوابط الشريعة الإلهية - في مختلف ميادين الحياة - الفكرية والعملية.

* وجهاد النصر المظلومين وتحرير المستضعفين في الأرض.

* والتسابق على طريق الخيرات التي تحقق سعادة الناس في الدنيا والآخرة.

كل هذه الفرائض الاجتماعية وأمثالها - هي بعض من التكاليف التي وضعها الإسلام تحت الفريضة العامة والجامعة «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» وهي التي أناطها بكل المكلفين رجالا ونساء ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾ [التوبة: ٧١]

ولولا أمة هذه الفرائض الاجتماعية - والاتصاف بثمراتها - لتحقق خيرية الأمة الإسلامية، بل إن عينة هذه الفرائض الاجتماعية وضمانها تسلب من الناس حتى معنى «الأمة - الجماعة»، وليس فقط صفة «الخيرية»، لأنهم يكونون عندئذ مجرد «أفراد» مبعثرين، وليسوا «أمة» من الأمم!

* * *

عن ذلك كله تحدث القرآن الكريم، عندما عرض خيرية الأمة الإسلامية، وشروط هذه الخيرية، وصفات الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس، فقال:

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون (١٠٢) واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون (١٠٣) ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون (١٠٤) ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم (١٠٥) يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (١٠٦) وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون (١٠٧) تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين (١٠٨) ولله ما في السموات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور (١٠٩) كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾ [آل عمران: ١٠٢ - ١١٠]

فجماع الصفات التي تحقق خيرية الأمة الإسلامية - إذا أردنا تكثيفها - هي

١ ـ الإيمان.. الذي هو الشرط في حفظ الأعمال من الإحباط..

٢ ـ والعمل الصالح.. الذي تندرج كل شعبه وتكاليفه وفرائضه تحت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾ [آل عمران: ١١٠]

وجميع شروط هذه الخيرية وصفاتها ومؤهلاتها «مكتسبة»، وأبواب ميادينها مفتوحة أمام سائر عباد الله.. وليست صفات «لصيقة»، ولا هي حكر على من يسمون بأسماء المسلمين ويدّعون أنهم مسلمون ـ ففرق بين أن يكون الناس مجرد مسلمين، وبين أن يكونوا الأمة الإسلامية التي هي خير أمة أخرجت للناس.. بل إن الآية تقول: ﴿ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم﴾ [آل عمران: ١١٠] فأبواب الخيرية مفتوحة أمام الجميع!.. وهي موصودة أمام الذين أوصدوها باختيارهم عندما كفروا بالتوحيد.. وفرقوا بين الرسل.. وكتبوا الكتاب بأيديهم ثم قالوا هو من عند الله.. وعندما ﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ [المائدة: ٧٩]

* * *

-٣-

التعريف بالمصطلحات

ولأن هذا هو الموقف القرآني من جزئية الأمة الإسلامية، وتلك هي صفاتها وشروطها، كان لزاماً تحرير مضامين المصطلحات في هذا المبحث، مصطلحات:

١ ـ الأمة

٢ ـ والخير.

٣ ـ والمعروف

٤ ـ والمنكر

٥ ـ والفارق بين «الأمر.. والنهي» وبين «التعبير»

* ولأن شروط تكوين «الأمة» هي الأخرى شروط «مكتسبة»، وليست «نصيفة» ـ كالعرق والجنس واللون ـ كان معناها ومفهومها في العربية، لغة القرآن الكريم ـ وفي الإسلام مفهوماً مفتوحة أبوابه لكل من يكتسب الشروط والصفات التي يطلق مصطلح «الأمة» على المكتسبين لها والمتصفين بها، وكان تحقق معنى هذه الأمة مستمراً دائماً وأبداً..

فالأمة، كما يقول الراغب الأصفهاني [٥٠٢ هـ ـ ١٠٨ م]: «**كل جماعة يجمعها أمر ما، إما دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد، سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيراً أو اختياراً** ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ [الأنعام: ٣٨]، أي كل نوع منها على طريقة قد سخرها الله عليها بالطبع ﴿كان الناس أمة واحدة﴾ [البقرة: ٢١٣]، صنفاً واحداً وعلى طريقة واحدة ﴿ولو شاء الله

جعلكم أمة واحدة﴾ [المائدة: ٤٨] أي في الإيمان. ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير﴾ [آل عمران: ١٠٤] أي جماعة يتخيرون العلم والعمل الصالح، يكونون أسوة لغيرهم. ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ [الزخرف: ٢٣] أي على دين مجتمع. ﴿وادكر بعد أمة﴾ [يوسف: ٤٥] أي بعد حين، أي بعد انقضاء أهل عصر وأهل دين. ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتا لله﴾ [النحل: ١٢٠] أي قائما مقام جماعة في عبادة الله..»

ونحن نلاحظ أن جوامع الأمة، وإن صدرت عن التسخير الإلهي في «الحيوان» و«الزمان» فإنها كانت دائمًا اختيارية مكتسبة في عالم الإنسان. وهذا ملحظ مهم له دلالته في كون الخيرية - خيرية الأمة الإسلامية - هي ثمرة للشروط والصفات المكتسبة، المفتوحة أبواب ميادينها أمام الناس كافة. ومن ثم فإن هذه الخيرية لا علاقة لها بالصفات اللصيقة، ولا بالاحتكار النابع من أوهام «العنصرية» التي سادت هذا المفهوم خارج إطار الإسلام!..

هذا عن مصطلح الأمة..

* أما مصطلح «الخير» فإنه - كما يقول الراغب الأصفهاني - «ضربان»:

١ - خير مطلق، وهو أن يكون مرغوبًا فيه بكل حال وعند كل أحد. كالعقل مثلاً، والعدل، والفضل، والشيء النافع.

٢ - وخير مقيد، وهو ما يكون خيرًا لواحد شرًا للآخر، كالمال الذي ربما يكون خيرًا لزيد وشرًا لعمرو، ولذلك وصفه الله - تعالى - بالأمرين فقال في موضع: ﴿إن ترك خيرا﴾ [البقرة: ١٨٠] وقال في موضع آخر: ﴿يحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين (٥٥) نسارع لهم في الخيرات﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦][٢]

* أما مصطلح «المعروف» فهو - عند الراغب الأصفهاني - «اسم لكل فعل يُعرف بالعقل أو الشرع حُسنه»

* ويقابله «المنكر»، الذي يُنكر بالعقل والشرع معًا[٣]

- ٤ -

رؤية حضارية لخيرية الأمة

ولقد كان الإمام محمد عبده [٢٦٥ - ٣٢٣ هـ / ٨٤٩ - ٩٠٥ م] من أكثر المفسرين المجتهدين الذين وقفوا وقفات عبقرية واعية أمام هذه الآيات التي تحدثت عن صفات الخيرية في الأمة الإسلامية، مفصلاً في الآفاق والمقاصد الحضارية العصرية والمستقبلية التي تجعل هذه الخيرية سبيلاً لإقلاع الحضاري [illegible] المسلمين وينقذهم من المأزق الذي يأخذ منهم بالخناق.

* فهو يعرف "الخير" [illegible] في هذه الآيات بأنه «الإسلام، الذي هو دين الله على لسان جميع الأنبياء لجميع الأمم، وهو الإخلاص لله تعالى، والرجوع عن الهوى إلى حكم الله، وهذا مطلوب منا بحكم جعلنا أمة وسطاً وشهداء على الناس».

* «وخير أمة أخرجت للناس مقيد بكوننا نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر».

فليست كل قوة محمودة [illegible] وليس كل تمكين في الأرض يكون خيراً [illegible] المعنى الإسلامي للخير والخيرية [illegible] ولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» [[illegible] ٩] «ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين (٨٠) وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين (٨١) وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين (٨٢) فأخذتهم الصيحة مصبحين (٨٣) فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون» [الحجر ٨٠ - ٨٤] «ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي فلا تبصرون (٥١) أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين» [الزخرف ٥١ - ٥٢].

فهناك «مفاهيم فرعونية» للخيرية، لا علاقة لها بالمفهوم الإسلامي لهذه الخيرية، والذي يجب أن يركز على إقامة الفرائض التي تجمعها فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ [الحج: ٤١]

* ولقد جاء تعريف الإمام محمد عبده المصطلحي «المعروف» و«المنكر» قريبًا من تعريف الراغب الأصفهاني لهما:

«فالمعروف - عند إطلاقه - يراد به ما عرفته العقول والطباع السليمة، والمنكر ضده، وهو ما أنكرته العقول والطباع السليمة. وإنما المرشد إليه - مع سلامة الفطرة - كتاب الله وسنة رسوله المنقولة بالتواتر، والعمل، وهو ما لا يسع أحد جهله، ولا يكون المسلم مسلمًا إلا به»(*)

«ولقد وقف الإمام محمد عبده وقفة ذكية أمام اختلاف المفسرين في معنى «من» في آية ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ [آل عمران: ١٠٤] وهل معنى «من» هو «البيان»، فتكون الخيرية لكل الأمة وعامتها؟ وتكون فرائض الدعوة إلى الخير - الإسلام - والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبة على كل آحاد الأمة؟؟

أم أن معنى «من» هو «التبعيض»، فتكون فريضة الدعوة إلى الخير - الإسلام - والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاصة بفئة بعينها، هي «الأمة الخاصة» التي تتكون من الصفوة والنخبة والقيادات التي تجاوزها هذه المهمة - الأمة العامة؟؟

لقد وقف الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده وقفة ذكية أمام هذا الاختلاف الشهير بين المفسرين لمعنى «من» في هذه الآية، وانتهى بعد الشرح والتفصيل إلى الرأي الذي يجمع بين التفسيرين.

فنحن - بإزاء جماعة المسلمين - أمام أمتين، أو أمة ذات مستويين:

١- المستوى العام للأمة العامة، والدعوة إلى الخير - الإسلام - والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - مثلها كمثل الإيمان بالله - فريضة على كل واحد من أفراد هذه

لأمة، بحسب مقدوره واستطاعته لإمكانات التي بين كل فرد من الأفراد.

٢ ـ ومعنى خاصية الأمة الخاصة، أن هذه المؤهلات العلمية والعملية لا تكفي في تحقيق الفريضة، وحتى تقوم هذه الأمة الخاصة بواجبها وكما يجب، فيجب وبحسب تعبير هذا النص هو فرض عين على الأمة الإسلامية بمعنى أن لزوم وجوبه

وفي هذا التفسير الجامع يقول الأستاذ الإمام:

«وإذا كان كل فرد من أفراد المسلمين مكلفًا بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمقتضى الوجه الأول في تفسير الآية ـ على أن «من» بيانية ـ فإنهم مكلفون بمقتضى الوجه الثاني ـ على أن «من» للتبعيض ـ أن يختاروا أمة منهم تقوم بهذا العمل لأجل أن تتقنه وتقدر على تنفيذه... فإقامة هذه الأمة الخاصة فرض عين يجب على كل مكلف أن يشترك فيه مع الآخرين. ولا مشقة في هذا علينا، فإنه يتيسر لأهل كل قرية أن يجتمعوا ويختاروا واحدا منهم أو أكثر، أن يختاروا جماعة تصح أن يطلق عليهم لفظ الأمة، ويعملوا ما تعمله من الاتحاد والقوة ليتولوا إقامة هذه الفريضة فيها، كما يجب في كل مجتمع إسلامي سواء كان في الحواضر أو البوادي ـ فإن معنى الأمة يدخل فيه معنى الارتباط والوحدة التي تجعل أفرادها على اختلاف وظائفهم وأعمالهم حتى في إقامة هذه الفريضة عند تشعب الأعمال فيها، كأنهم شخص واحد

وهذه الأمة تدخل في عملها الأمور العامة التي هي من شأن الحكام، وأمور العلم وطرق إفادته ونشره، وتقرير الأحكام، وأمور العامة الشخصية. ويشترط فيها العلم بذلك، ولذلك جعلت أمة، وفي معنى الأمة القوة والاتحاد، وهذه الأمور لا تتم إلا بالقوة والاتحاد... وأعمال هذه الأمة لا تتم إلا بأمور كثيرة، منها:

١ ـ العلم التام بما يدعون إليه..

٢ ـ والعلم بحال من توجه إليهم الدعوة..

٣ ـ ومنشئ علم التاريخ العام..

٤ ـ وعلم تقويم البلدان..

٥ ـ وعلم النفس..

٦ ـ وعلم الأخلاق . .

٧ ـ وعلم السياسة .

٨ ـ والعلم بالفنون والعلوم . .

٩ ـ ومعرفة الملل والنحل .

١٠ ـ والعلم بلغات الأمم التي تراد دعوتها . .

ثم إن كون الأمة الخاصة منتخبة من الأمة العامة يقتضي أن تكون للعامة رقابة وسيطرة على الخاصة ، تحسسهم على تفريطها ، ولا تعيد انتخاب من يقصر في عمله لمثله ، فالأمة الصغرى المنتخبة ـ بفتح الخاء ـ تكون مسيطرة على أفراد الأمة الكبرى المنتخبة ـ بكسر الخاء ـ وهذه تكون مسيطرة على الأمة الصغرى ، وبهذا يكون المسلمون في تكافل وتضامن . . فهاهنا فريضتان :

إحداهما : على جميع المسلمين . .

والثانية : على الأمة التي يختارونها للدعوة .

ولا يفهم معنى هذا حق الفهم إلا بفهم معنى لفظ الأمة ، وليس معناه « الجماعة » كما قيل ، وإلا لما احتيج هذا التقسيط والتصويب أن الأمة أخص من الجماعة ، فهي الجماعة المؤلفة من أفراد لهم رابطة تضمهم ووحدة يكونون بها كالأعضاء في بنية الشخص ، والمراد بكون المؤمنين كلهم مخاطبين بتكوين هذه الأمة بهذا المعنى هو أن يكون لكل فرد إرادة وعمل في إيجادها وإسعادها ومراقبة سيرها بحسب الاستطاعة ، حتى إذا رأوا منها خطأ وانحرافاً أرجعوها إلى الصواب

وقد كان المسلمون في الصدر الأول ، لا سيما زمن أبي بكر [٥١ ق هـ ١٣ هـ / ٥٧٣ ـ ٦٣٤م] وعمر [٤٠ ق هـ ـ ٢٣هـ / ٥٨٤ ـ ٦٤٤م] على هذا النهج من المراقبة للقائمين بالأعمال العامة ، حتى كان الصعلوك من رعاة الإبل يأمر مثل عمر بن الخطاب ـ وهو أمير المؤمنين ـ وينهاه فيما يرى أنه الصواب ، ولا يدع الخلفاء على زلاتهم وقصدهم ليسوا معصومين ، وقد صرح عمر بخطئه ورجع عن رأيه غير مرة . .

وجه المسلم الجامع لمعنى خير الأمم [illegible]. والمتبعض - تكون أعباء الخيرية ولا تنهض، وكذلك تعرض وتقصر عن غايتها في [illegible] الإسلامية، بالمعنى العام للأمة، وبالمعنى الخاص المتمثل في [illegible] بقيداتها، فلا تكون الخيرية حكرا على فرد [illegible] شروطه.

* * *

وعلى حين اتجه بعض المفسرين لهذه الآيات القرآنية [illegible] آيات الصفات و شروط المحققة لخيرية الأمة الإسلامية - إلى تضييق نطاق من تجب عليهم فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - من جانب آخر - فأخرجوا من هذا النطاق من كان غير مؤهل بالمعروف ومنته عن المنكر [illegible] ومن كان غير آمن على نفسه إذا هو أمر بالمعروف ونهى عن المنكر. رأيت الأستاذ الإمام يرفض هذا الاتجاه، ويؤكد على وجوب هذه الفريضة الجامعة على كل المؤمنين بالإسلام. فيقول - متعجبا من هذا الرأي -:

«ومن عجب أن بعض الناس اشترطوا لهذه الفريضة - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - شرطا لم يأذن به الله، ولم ينزله في كتابه، وهو أنه لا يأمر وينهى إلا من كان مؤتمرا، ومنتهيا..

ويشترط بعضهم لوجوب شرط آخر، وهو الأمن على النفس. وكان ينبغي أن يقولوا: على الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة حتى لا ينفر الناس، أو لا يحملهم على إيذائه، فإن الله يقول: إنه لا نجاة للناس إلا بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر، ولم يشترط في ذلك شرطا.

إن الله - تعالى - أمر الناس بالتواصي بالحق والدعوة إلى الخير، وأمرهم أن يعدوا لذلك عدته ويعرفوا سننه، وهي مبسوطة في السنة. فهذه هي الحكمة، وبها تجب القدوة ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ [يوسف - ١٠٨] وإنما تكون متعينة له حتى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر على سنته وطريقته».

* * *

كذلك يرفض الأستاذ الإمام [illegible] التي تضيق نطاق

[illegible]

يبه لأستاذ الإمام على هذه الحقيقة، فقول

[illegible] بين النهي عن المنكر وتغيير المنكر الذي جاء في حديث "من رأى منكم منكرًا فليغيره..." رواه مسلم والترمذي و لنسائي وهو شيء آخر غير النهي البتة، فإن النهي عن الشيء إنما يكون قبل فعله، وإلا كان رفعًا للوقوع أو تحصيلاً للحاصل، فإذا رأيت شخصًا يغش السمن مثلاً وجب عليك تغيير ذلك ومنعه بالفعل إن استطعت، فالقدرة والاستطاعة هنا مشروطة بالنص، فإن لم تقدر على ذلك وجب عليك التغيير بالنص، وهو غير خاص بنهي العاش ووعظه، بل يدخل فيه رفع أمره إلى الحاكم الذي يمنعه بقدرة فوق قدرتك أما التغيير بالقلب فهو عبارة عن مقت الفاعل وعدم الرضى بفعله وللنهي طرق كثيرة وأساليب متعددة، ولكل مقام مقال.

نعم، إن دعوة الأمة غيرها من الأمم إلى الخير الذي هي عليه لا يطالب بها كل فرد بالفعل، إذ لا يستطيع كل فرد ذلك، وإنما يجب على كل فرد أن يجعل ذلك نصب عينيه حتى إذا عنَّ له بأن لقي أحدًا من أفراد تلك الأمم دعاه، لا أنه ينقطع لذلك ويسافر لأجله، وإنما يقوم بهذا طائفة يعدون له عدته، وسائر الأفراد يقومون به عند الاستطاعة، فهو يشبه فريضة الحج، وهي فرض عين ولكن على المستطيع

وفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آكد من فريضة الحج، ولم يشترط فيها الاستطاعة لأنها مستطاعة دائمًا..

وحملة القول، أن الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض حتم على كل مسلم وكون هذا الحفظ وحرزًا للأمة ظهر، فإن الناس إذا تركوا دعوة

الخير، وسكت بعضهم لبعض على ارتكاب المنكرات خروجا عن معنى الأمة، وكانوا أفذاذا متفرقين لا جماعة لهم . فلا بد للمرء في حفظ نفسه ومن معه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا سيما أمهات المنكرات المفسدة للاجتماع كالكذب والخيانة والحسد والغش . فهذا ليس من قروض الكفاية التي يتواكل فيها الناس كصلاة الجنازة . ولكنه إذا رأى منكرًا وجب عليه أن ينهى عنه ولا ينتظر غيره. ا

***

هكذا جعلت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الفريضة التي بها تصير خيرية في الأمة الإسلامية، وهي فريضة موجهة بتكليف إلهي إلى كل فرد - لأن شروطها متحققة فيه بالفعل، مفروضة عليه بالوجوب العيني - صاحب الفريضة والإلزام من الله بالحساب والعقاب . وليست حكرا على سلطة أو حسبة أو أي جهاز كما تصورت المقصية التي هي حسبة لا تحسن فيها الاجتهاد والتغيير

وهكذا أراها هي التصور الحضاري للأمة المحمدية المعبر عن خلاصة «المشروع النهضوي» تصلح به الأمة آخرها، كما سبق وأصلحت به أولها . وليست مجرد صورة تقليدية للحض على العبادات الفردية، كما تصورها ويصورها نفر من أهل الجمود والتقليد! . .

إنها بإقامة النظام الإسلامي المؤمن، والعدل والشامل، المحقق للأمانة التي حملها الإنسان الخليفة لله - سبحانه وتعالى - أمانة «العمران المؤمن» لهذا الوجود

فبإقامة «العمران المؤمن» تتحقق خيرية الأمة الإسلامية، ذلك الذي يتحقق فيه ولاء انتماء الأمة إلى بارئها سبحانه وتعالى - متطلعة أرواحها إلى مصدر الروح الإلهي الذي منه كان الشرف والتشريف والتكريم والتفضيل للإنسان حتى على الملائكة المقربين

وبقيام هذا «العمران المؤمن» على «التقوى»، التي هي الثمرة المباشرة لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تتحقق خيرية الأمة الإسلامية، عندما تثمر هذه الفريضة «النظم العامة» والآداب العامة»، فتكون الخيرية - في كلمات قليلة - هي الأمانة التي عرضها الله سبحانه وتعالى - على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان! . .

[illegible]

لسموات والأرضين

[illegible]

[illegible] ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ﴿ [النساء: ١٢٣] [illegible] وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴿ [سبأ: ٢٤] [illegible] وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ [محمد: ٣٨]

[illegible] وقد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين (١٣٧) هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين (١٣٨) ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين (١٣٩) إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين (١٤٠) وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين (١٤١) أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾

[آل عمران: ١٣٧-١٤٢]..

[illegible]

[illegible]

[illegible] لقفوا إلا بحبل من الله الذي لا تخفى عدالته أحدا من العالمين

***

-٥-

عنصرية نزعة شعب الله المختار

* في مقابل هذه [illegible] في مجتمع حديث في الأمم المتحضرة [illegible] و[illegible] و[illegible] و[

أنهم وحدهم - بتصرف النظر عن الموضوعات - تصطفيهم "الشعب المختار" من بين صفوف البشر جميعاً، دون العالمين!

* وانطلاقاً من هذه النزعة العنصرية، التي احتكرت الخيرية، وارتفعت بها إلى مستوى "العصمة" و"القداسة" - عصمة لا يعصمون منها أنبياءهم، ولا يسلمون عنها بشراً كائناً من كان - ولا استثناء لكل الأغيار - بمن فيهم ما يقرب من ثلاثة عشر مليوناً من اليهود!!

فكل هؤلاء الأغيار - وكل خلق الله - مسخرة لخدمتهم، وعرضة لضربات سيوفهم، ومدفع جيوشهم، ونهب أموالهم، لأنهم ليسوا من "الشعب المختار" من بين دون جميع الشعوب، وفوق جميع الشعوب!

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه النزعة العنصرية عند اليهود في قوله: ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ [البقرة: ١١٣] ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ [البقرة: ١١١] ﴿ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ [آل عمران: ٧٥] ﴿أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون﴾ [البقرة: ١٠٠]

* وقد صحح القرآن الكريم أولاً هذه النظرة الخاطئة، فكل الذين يؤمنون بوحدانية الله واليوم الآخر وتعملون صالحاً هم عند ربهم في أي نوع بشري لا يفرق في ذلك بين اليهود والنصارى والصابئين، من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [البقرة: ٦٢]

* وقد حذر القرآن الكريم كل أمم الرسالات السماوية التي كلمة سواء ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ [آل عمران: ٦٤]

* وقررت السنة النبوية في الممارسات الحياتية والاجتماعية وحقوق المواطنة، كامل المساواة لكل البشر، على اختلاف الأجناس والألوان والمعتقدات: «لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم»[10].

* ولقد نهض رسول الله ﷺ [illegible] جنازة يهودي [illegible] غير مسلم [illegible] فلما تساءل بعض أصحابه:

- يا رسول الله، إنها جنازة يهودي؟! قال صلى الله عليه وسلم:

- «أليست نفسا»؟..

وصنع ذلك صحابته مع جنازات مجوسية إبان التحرير الإسلامي للعراق - رواه البخاري ومسلم -.

* وكتب الإمام علي بن أبي طالب [٢٣ ق هـ - ٤٠ هـ / ٦٠٠ - ٦٦١ م]، كرم الله وجهه، في عهد توليه والله على مصر «الأشتر النخعي» [٣٧ هـ - ٦٥٧ م]، بعلمه هذه القيم الإسلامية، فقال له: «الناس صنفان: إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخَلْق»[11].

* * *

* لكن نزعة العنصرية بعقيدة «شعب الله المختار» قد جعلت اليهود - بنص الأسد - التي كتبوها بأيديهم ثم قالوا هي من عند الله [illegible] بنص شروحها المرجعية في [التلمود] قد جعلتهم يقولون:

«إن كلمة «نفس» تعني اليهودي، ويستثنى منها غير اليهود والكلاب»[12].

- «وإن الأغيار ليسوا من الإنسانية [illegible] وإنما هم شياطين [illegible] وكلاب [illegible] وحمير وخنازير [illegible] فكل غير اليهود مخلوقات شيطانية، ليس بداخلها أي شيء جيد على الإطلاق، حتى الجنين غير اليهودي يختلف نوعيًّا عن الجنين اليهودي، كما أن وجود غير اليهودي مسألة غير جوهرية في الكون، فلقد تشاكل الخلق من أجل اليهود فقط»![13].

* وانطلاقًا من هذه النزعة العنصرية في [illegible] بل [illegible] لإنسانية!! [illegible] [التلمود] [illegible] هو [illegible] الشريعة عند اليهود [illegible] الحض على

- لعن الأغيار [illegible] وأمهاتهم [illegible] بل وموتاهم؛ لأنهم كلاب! [illegible] والدعاء عليهم بالدمار»![14].

- وإسقاط الأهلية عن كل الأغيار![15].

- وإباحة النَّصْب على الأغيار، والخداع لهم![16].

- وإباحة سرقة الأغيار![17].

- والحض على الربا في التعامل مع الأغيار![18].

- بل وإباحة الزنا بنسائهم «لأن كل النساء غير اليهوديات عاهرات»![19]

* وإذا كانت مخالفات [التلمود] هي الشريعة المعتمدة التي [illegible] [العهد القديم]، فإن هذه الأسفار هي المرجعية [illegible] المعتمدة، لا عند اليهود فقط، بل [illegible] النصارى أيضًا، وهي اليهوع [illegible] بهذه العنصرية [illegible] [illegible] ضد سائر الأغيار، من مختلف الأمم والشعوب، [illegible] أي ضد سائر خلق الله!..

[illegible] اليهود [illegible] «يهوه» [illegible] «رب الجنود والجيوش» [illegible] كل الأمم والشعوب - غير اليهود [illegible] وتحريم أي إهلاك [illegible] كل مكونات [illegible] كل الأمم والشعوب - غير اليهود»!!

[illegible] «يهوه» في سفر حزقيال [illegible] [صحاح ٣٩ [illegible] ٩]

- «هكذا قال السيد الرب: قل لطائر كل جناح ولكل وحوش البر اجتمعوا وتعالوا احتشدوا من كل جهة إلى ذبيحتي التي أنا ذابحها لكم، ذبيحة عظيمة على جبال إسرائيل لتأكلوا لحمًا وتشربوا دمًا. تأكلوا لحم الجبابرة وتشربوا دم رؤساء الأرض، كباش وحملان وأعتدة وثيران من مسمنات باشان، وتأكلون الشحم إلى الشبع وتشربون الدم إلى السكر من ذبيحتي التي ذبحتها لكم»!!

كما كتبوا على لسان ذبك الرب في سفر أشعيا. [إصحاح ٣٤: ١ ـ ٦]

ـ «تقربوا أيها الأمم لتسمعوا، وأيها الشعوب اصغوا لتسمع الأرض وملؤها، المسكونة وكل نتائجها؛ لأن للرب سخطًا على كل الأمم وحُمواً على جيشهم قد حرمهم ـ أهلكهم ودفعهم إلى الذبح فقتلاهم تطرح وجيفهم تصعد نتنتها وتسيل الجبال بدمائهم، ويبلى جند السماوات. للرب سيف قد امتلأ دمًا!!..

فكل مسرح بذبح وذبيحة وذبيحة، يهيئ فيها كل شعوب الأرض وزوابعها، تطرح جثثهم، وتصعد نتنتها، وتسيل الجبال بدمائهم، حتى تسكر الطيور والوحوش بدماء سائر الشعوب.. ويبلى جند بني إسرائيل. إن للرب سيفًا قد امتلأ دمًا!!

وماذا كل هذا؟!.

ليشفي «شعب الله المختار» عميله من كل الأعبار!!

ولتأييد هذه «الثقافة العنصرية الدموية» تجد جميع الأعبار من كل الأمم والشعوب والديانات والحضارات، قول أحبار يهود «الذين أعدوا كل شيء في مسرح السعي الدنيا، وفي ظلاله أحقدهم فيه قربوا تعبيده العنصرية» على جثثهم ـ وحدهم. «بعد الله وحده» وأنبيائه وشعبه المختار، بل والمقدس، دون كل الشعوب، وفوق جميع الشعوب، قربوهم بدعوة الرب إياهم إلى إبادة الشعوب، بل وأكلهم أكلاً! فتجد في سفر تثنية الاشتراع «التي يسمونها لي ربهم، وإلى يقول لهم ـ على سبيل المثال ـ :

«فقال الرب لموسى اكتب هذا تذكاراً في الكتاب، وضعه في مسامع يشوع. فإني سوف أمحو ذكر عمانيق من تحت السماء» سفر الخروج [إصحاح ١٧. ١٤]

ـ «إن سمعت عن إحدى مدنك التي يعطيك الرب إلهك لتسكن فيها قولا اضربا تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف وتحرّمها ـ تهلكها ـ بكل ما فيها من بهائمها بحد السيف. تجمع كل أمتعتها كاملة للرب إلهك، فتكون تلاً إلى الأبد لا تبنى بعد بكى يرجع الرب عن حموّ غضبه ويعطيك رحمة» ـ سفر تثنية [إصحاح ١٣ ١٢. ٥ ـ ١٧].

فرحمة الرب هي موهبة مشروطة بإبادة الأغيار وكل مكونات الحياة عند هؤلاء الأغيار، مجرد تهمة قديمة قولا «سمعه اليهود!

- «وكلم الرب موسى في عربات موآب على أردن أريحا قائلا: كلم إسرائيل وقل لهم: إنكم عابرون للأردن إلى أرض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم. تملكون الأرض وتسكنون فيها، وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكا في أعينكم ومحاجز في جوانبكم ويضايقونكم في الأرض التي أنتم ساكنون فيها، فيكون أني أفعل بكم كما هممت أن أفعل بهم!» سفر العدد. [إصحاح. ٣٣: ٥٠-٥٣، ٥٥، ٥٦]

«وحين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويُستعبد لك، وإن لم تسالمك، بل عملت معك حربًا فحاصرها. وإذ دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. أما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة، كل غنيمتها، فتغنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك. هكذا تفعل بجميع المدن. فلا تستبق منها نسمة ما. بل تحرمها - تهلكها»

سفر التثنية. [إصحاح ٢٠: ١٠-١٦].

«الذين يصلحون ويسمعون، لهم العبودية والاستعباد. والذين لا يصلحون ولا يسمعون لهم الإبادة والدمار!»

«يقف الأجانب ويرعون غنمكم، ويكون بنو الغريب حراثيكم وكرامكيم، أما أنتم فتدعون كهنة الرب، تأكلون ثروة الأمم، وعلى مجدهم تتأمرون!»

سفر أشعيا. [إصحاح ٦١: ٥].

«فكل الأجانب وجميع الشعوب وسائر الأغيار خدم وعبيد مسخرون عند اليهود، الذين يأكلون ثروة كل الأمم، ويتمكنون ويتسلطون على سائر الشعوب!»

- «سمع شعوب دفعهم الرب إلهك أمامك وصرتهم، فإنك تحرّمهم. تهلكهم... لا تقطع لهم عهدًا ولا تشفق عليهم. ولا تصاهرهم. لأنك أنت شعب مقدس للرب

إلهك. إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبًا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض.. مباركًا تكون فوق جميع الشعوب، لا يكون عقيم ولا عاقر فيك ولا في بهائمك. ويرد الرب عنك كل مرض، وكل أدواء مصر الرديئة التي عرفتها لا يضعها عليك، بل يجعلها على مبغضيك. وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك. لا تشفق عينك عليهم»!!!

سفر التثنية. [إصحاح ٧، ١، ٣، ٦، ٧، ١٤ـ١٦].

يهدروه العنصرية، وقحة عنصرية، وخلاصة هذه الشرعة التي تخول كل الحدود لليهود شعب الله المختار، الذي اختاره دون جميع الشعوب، وجعله فوق جميع الشعوب، بل هم شعب مقدس ـ مع بهائمهم كذلك! ـ لا يصيبه أي من الأمراض، التي يدفعها الرب إلى أعداء اليهود..

وفي هذا النص، لم يكتفوا بأن تكون لهم السيادة والإمرة على الأمم، وبأن تكون ثروات الأمم، وبستخدمون تلك الأمم في كل ذلك لتشريع «أكل كل الشعوب». دونما عهد يُقطع ولا عين تشفق على تلك الشعوب!

***

* ولم يكتفوا بتأثيرات هذه النصوص «المقدسة» ـ وغيرها كثير ـ في ترجيح ميزان الثقافة العنصرية ـ ثقافة الكراهية السوداء ـ تجاه جميع الأغيار، وربما ذهبوا لتأسيسها، وتأبيد تأثيرها العنصرية على امتداد الدهور

فجعلوا يحضون أنبياءهم على تبني «الرب الذي لا يندم»، بل يحضون الله على «لا يندم»! سفر العدد [إصحاح ٢٣ ١٩] ـ وهو يهوه العنصري، وهذه الكراهية، وهذه الإبادة ستفعل فعلتها في واقع الممارسات التي يمارسها الكيان الصهيوني ضد الفلسطينيين، في واقع العنصرية والعيش! وتلك بدعة من بدعهم العنصرية، شريكتهم في ثقافة العهد القديم!

فحاخام «بعقيدة» فينحاس (ريمس) يمني ـ في سبعينيات القرن العشرين ـ في ثكنة عسكرية مصفحة يوسطي في جيش الصهيوني التي تقع بضعة

[illegible]

"في حالة احتكاك قواتنا بمدنيين خلال حرب، أو خلال مطاردة حربية، أو غارة، إذا لم يتوافر دليل يعدم حقهم لأدى لقوتنا، هناك إمكانية لقتلهم، أو حتى ضرورة للقيام بذلك حسب لهالاكاه التشريعيه [illegible] بل نحص انها لاكاه على قتل حتى للمدنيين الطيبين"!![٢٠]

[illegible]

[illegible] في [illegible] "وسمح ذكرى العمانيق من تحت لسماء" [illegible] [صحيح ص ٢٥ ١٩]، فتحقق [illegible] [illegible] المعاصرين مثل [illegible] مصوب [illegible] [illegible] [illegible] سماء. فيقول هذا الحاخام:

"إنه لا يسمح في زمن الحرب بقتل كل عربي أو امرأة فحسب، بل يجب القيام بذلك أيضا"![٢١]

[illegible] حتى حقائق كبار [illegible] [illegible] ٢٠٠٥م ـ يعتبر الحاخام الصهيوني [illegible] ـ الذي [illegible] "يتسهار" ـ المقامة على الأرض الفلسطينية المحتلة، قرب مدينة نابلس، في الضفة الغربية، والذي يمثل المرجعية الروحية الرئيسية [illegible] [illegible] [illegible]

فالاستيلاء على [illegible] حتى سرقة محاصيل [illegible] هو «أوامر» الرب لليهود حسب التوراة!

***

تلك هي العنصرية اليهودية [illegible] ذكرها، وتحدث عنها الإمام محمد عبده، عند [illegible] في تفسير قول الله سبحانه على لسان اليهود: ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾ [آل عمران: ٧٣]

"إن اليهود حصروا الثقة بأنفسهم لزعمهم أن النبوة لا تكون إلا فيهم، بل غلوا في التعصب والغرور حتى حقروا جميع الناس، فجعلوا كل ما يكون من أنفسهم حسنا، وما يكون من غيرهم قبيحا، وهذا من الانتكاس الذي يحول بين أهله وبين كل خير.

وإننا نرى من الناس اليوم من يحاول تغرير قومه بحملهم على أن يكونوا كذلك، يحقرون كل ما لم يأت منهم وإن كان حسنًا. فنعوذ بالله من الخذلان، وعسى أن يعتبر هؤلاء بما رد الله به على أهل الكتاب إذ قال لنبيه: ﴿قل إن الهدى هدى الله﴾ [آل عمران: ٧٣] لا هدى شعب معين هو لازم من لوازم ذاته، فهو - سبحانه - يبين هذه على لسان من شاء من عباده، لا تتقيد مشيئته بأحد ولا شعب»[٢٣]

***

-٦-

العصمة الدولية لشعب الله المختار!

وبوأن هذه العقيدة العنصرية الدموية قد وقفت عند اليهود، نهاية الأمر بعض الشيء، ولجاز أن نقول إنها شذوذ فكري، تقف حدوده وأثره [illegible] لا يتعدى عددها ثلاثة عشر مليونًا من الناس [illegible] أن أصبحت هذه العقيدة العنصرية الدموية ـ أن اليهود هم شعب الله المختار، دائمًا وأبدًا ـ عقيدة دينية [illegible] التي [illegible] الأكبر في توجيه السياسة الدولية الحديثة والمعاصرة.

فمنذ التحول العقدي الذي أحدثه «مارتن لوثر» [١٤٨٣ ـ ١٥٤٦م] في النصرانية الغربية، أصبح العهد القديم مرجعية مقدسة في هذه النصرانية، وخاصة البروتستانتية منها ـ [illegible] وأصبحت هذه المسيحية الغربية ـ في جملتها ـ «مسيحية ـ صهيونية»، تؤمن بأن:

١ ـ اليهود هم شعب الله المختار [illegible] في التاريخ القديم فقط ـ كما هو الحال عند الكنيسة الأرثوذكسية ـ وإنما لا يزالون هم شعب الله المختار.

٢ ـ وبأن الميثاق الإلهي [illegible] اليهود والأرض المقدسة قائم أبدًا.

٣ ـ وبأن عودة المسيح لتحكم الأرض [illegible] سنة سعيدة ـ [illegible] العودة والسطورة الألفية مشروطة بعودة اليهود إلى فلسطين، وإقامة الدولة الصهيونية، وإحلال اليهود محل الفلسطينيين، وبناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى.

ومنذ ذلك التاريخ غدت «المسيحية الصهيونية» عقيدة لكنائس غربية كثيرة، وموجهة لدول ومؤسسات وقيادات، تضفي القداسة على شعب الله المختار ـ اليهود ـ

وتحديهم سبيلا لإقامة الدولة الخادمة للمشروع الإمبريالي العربي في قلب العالم الإسلامي، والتي يفتح قيامها الباب لعودة المسيح، وتحقيق الرؤى والأساطير المسيحية الصهيونية.

وانطلاقا من هذا التصور «العقدي ـ والسياسي»، تحول الكيان الصهيوني ـ لدى إقامته على أرض فلسطين سنة ١٩٤٨م ـ إلى ما هو أكثر من «دولة» من دول العالم تحول إلى «تجلٍّ إلهي» وتحقيق «نبوءة توراتية مقدسة»، ومن ثم أصبحت «عصمة شعب الله المختار» عقيدة موجهة لسياسة المشروع الإمبريالي العربي، تجعل لليهود ودولتهم «كيانًا معصومًا» من أن تطبق عليه القوانين الدولية والإرادات البشرية. ولا تطبق عليه إلا معايير التوراة ـ بنصوصها العنصرية. فهو يفعل ما يريد، ولا يُسأل عما يفعل ككل معصوم. بل لقد أصبح النقد ـ مجرد النقد ـ لسياسات وممارسات هذا الكيان الدموية ـ جريمة تتسابق الدول الغربية لمحاكمة مقترفيها!!.

لقد أصبح «نقض» الأمريكي ـ في مجلس الأمن ـ هو حارس «عصمة شعب الله المختار» وكيانه الصهيوني على أرض فلسطين.. وعدت بعض الجماعات المسيحية الإنجيلية وقسوسة الكنيسة الصهيونية عن أن إسرائيل كيان ديني، وتجلٍّ إلهي، ونبوءة [illegible] ومعصومة من [illegible] تطبق عليها القوانين [illegible] ـ حتى لو صدرت عن مؤسسات الدولة ـ أصبح ذلك من «ثوابت» الشعب والسياسة في التعامل مع الكيان الصهيوني القائم على أرض فلسطين. فشعب الله المختار كما قالت أستاذة العهد القديم "شعب مقدس فوق جميع شعوب الأرض" و"فوق جميع شعوب" و"يدعوه بعض إلهي" "لا يأكل كل الشعوب كلا" و"يجب أن يكون كذلك" و"شعب فلسطين هو المختار من السماء، كما حدث للعماليق!".

وقد كان قد صدر عن هذه العصبة مكتب [في شكل مصرح على العهد القديم وفلسطين][٢١]. فإن يكن هذا هو «الاعتقاد» بعصمة هذه العصبة المسيطرة الحاكمة في دول ومؤسسات الصهيونية العربية ـ والأمريكية منها على وجه الخصوص ـ

«فإن [illegible] الأمريكي «جون بولتون» يخطب أمام إحدى منظمات اليهودية

الأمريكية في العاشر من سبتمبر سنة ١٩٦٨م [illegible] في حرب «الأيام الستة» [illegible]

«إن لأكثركم، إن لم يكن لجميعكم، روابط عميقة مع أرض ومع شعب إسرائيل، كما هو الأمر بالنسبة إليّ؛ ذلك لأن إيماني المسيحي انطلق من إيمانكم. إن القصص التوراتية محبوكة مع ذكريات طفولتي»[٢٥].

* أما الرئيس الأمريكي جيمي كارتر [illegible] على جميع الحروف عندما يعلن في خطابه أول مايو سنة ١٩٧٨م:

«إن العودة إلى أرض التوراة التي أخرج منها اليهود منذ مئات السنين، وإن إقامة الأمة الإسرائيلية في أرضها هو تحقيق نبوءة توراتية، وهي تشكل جوهر هذه النبوءة»[٢٦].

* أما الرئيس «رونالد ريجان» [illegible] ترسم له سياسته في الصراعات الدولية، ويسيطر على مشاعره [illegible] سنة ١٩٨٤م - في حديث مع صحيفة «واشنطن بوست»:

«إنني أعود إلى النبوءات القديمة المذكورة في العهد القديم، وإلى المؤشرات حول «هرمجدون» - المعركة الأسطورية التي ستعقب حشر اليهود في فلسطين [illegible] وبناء الهيكل - والتي سيباد فيها ملايين البشر، ليعود المسيح من جديد. فأتساءل بيني وبين نفسي: ما إذا كان الجيل الذي سيرى تحقق هذه النبوءات [illegible] إن هذه النبوءات تصف بالتأكيد ما نمر به الآن»[٢٧].

* [illegible] المسيحي، [illegible] الأمريكية، القس «بات روبرتسون»:

«إن هذه الأرض - أرض إسرائيل من النيل إلى الفرات - هي أرض الله، وإن لله كلمات قوية تجلب الغضب على من يقسم أرضه»[٢٨].

* [illegible]

مقدس، لا تنطبق عليها صفة بشرية؛ لأنها قانون توراتي، لشعب الله المقدس والمختار والمعصوم، فضلاً عن سلسلة وصايا ولا تفاقات البشرية حول الصراع العربي الصهيوني:

«علينا أن نشجع الآخرين على فهم الخطط الإلهية وليس الخطط التي هي من صنع الإنسان في الأمم المتحدة، أو حتى في الولايات المتحدة، أو الاتحاد الأوروبي، أو في أوسلو أو في واي ريفر إلخ. إن الله بعيد عن أي مخطط يعرض مدينة القدس للصراع، بما في ذلك منطقة جبل الهيكل وجبل الزيتون - حيث المسجد الأقصى - وهو - الله - أبعد ما يكون عن إعطاء القدس للعالم الإسلامي، إن المسيح لن يعود إلى مدينة إسلامية تدعى القدس، ولكنه سيعود إلى مدينة يهودية موحدة تدعى (جروزالم)». [٢٩]

فشعب الله المختار هو الأساس فوق جميع الشعوب، ودون جميع الشعوب، هو وحده هذه الأرض، وعاصمته هي الخطط الحاكمة لأفعال هذا الشعب المقدس هي «الخطط الإلهية» وليست الخطط الأممية المتحدة ولا غيرها من «الخطط التي هي من صنع الإنسان»!

* * *

هذا هي خلاصة عقيدة الكتاب المقدس «العقيدة شعب الله المختار» كما جاءت في نصوص العهد القديم والعهد الجديد، والسياسة والتطبيق في حكم الكيان الصهيوني على أرض فلسطين.

وليست هي الأعداد التي يحتفظ بها في مستعمرة صهيونية عربية في ظل حكم أو لواء مشروع يهودية عربية، سيرى معظمها هذا النوع من النصوص في كتاب أخبار الأيام الثاني (٢ أخبار ٣٦: ٢٣)، وحتى هذا المخطط

قبل هذا العقد الذي «جروزالم» جزء من الخطة الإلهية التي جاءت في العقيدة الإلهية، التي حكمت منهج الإسلامي في حكم الصفات والشروط والمعايير التي حكمت الخبرة الأمة الإسلامية؟؟.

وصدق الله العظيم. ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ [آل عمران: ١١٠].

وهذا ما ندعو إليه في هذه الدراسة الإسلام، وبعد له المنهج الإسلامي في العلاقات بين الأمم والشعوب والديانات والحضارات

الهوامش:

(١) الراغب الأصفهاني [المفردات في غريب القرآن] ـ مصطلح «الأمة» طبعة دار التحرير القاهرة، سنة ١٩٩١م

(٢) المصدر السابق ـ مصطلح «خير»

(٣) المصدر السابق ـ مصطلح «المعروف» و«المنكر»

(٤) الإمام محمد عبده [الأعمال الكاملة] جـ ٥ ص ٥٤ ـ ٥٥ دراسة وتحقيق د. محمد عمارة. طبعة دار الشروق ـ القاهرة، سنة ١٩٩٣م

(٥) المصدر السابق. جـ ٥ ص ٥٤

(٦) المصدر السابق. جـ ٥ ص ٥٩ ـ ٦٥.

(٧) المصدر السابق. جـ ٥ ص ٥٦ ـ ٥٧.

(٨) المصدر السابق. جـ ٥ ص ٥٧ ـ ٥٩

(٩) إسرائيل شاحاك [الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود] ص ٧٧ ترجمة حسن خضر. طبعة دار سينا ـ القاهرة، سنة ١٩٩٤م

(١٠) [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة] من عهد رسول الله ﷺ إلى نصارى نجران ـ ص ١٢٦ ـ تحقيق د. محمد حميد الله الحيدر آبادي طبعة القاهرة، سنة ١٩٥٦م

(١١) [نهج البلاغة] ص ٣٣٤ ـ شرح الإمام محمد عبده. تحقيق محمد أحمد عاشور، محمد إبراهيم البنا ـ طبعة دار الشعب ـ القاهرة

(١٢) [الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود] ص ١٦٨

(١٣) المرجع السابق. ص ٣٦، ٣٧، ٤٠.

(١٤) المرجع السابق. ص ١٦٨ ـ ١٧١، ٣٤.

(١٥) المرجع السابق. ص ١٥٨

(١٦) المرجع السابق ص ١٦١.

(١٧) المرجع السابق ص ١٦٢

(١٨) المرجع السابق ص ١٦٠، ١٧٣

(١٩) المرجع السابق، ص ١٦٢

٢٠ المرجع السابق ص ٣٤، ١٣٥

٢١ المرجع السابق ص ٣٣ ٤٠

٢٢ محمد [illegible] في الأوسط لندن في ٦ / ٣ / ٢٠٠٥م- رسالة الصحفي الصديق [illegible]

٢٣ [illegible] الأعمال الكاملة] ج ٥ ص ٤٣ طبعة [illegible] سنة ١٩٧٢ م

(٢٤) د. محمد عمارة [في فقه الصراع على القدس وفلسطين] طبعة دار الشروق القاهرة، ٢٠٠٥م

٢٥ محمد [illegible] في [illegible] الأمريكي ص ٤ طبعة بيروت، سنة ١٤٢٤ هـ سنة ٢٠٠٣م

(٢٦) المرجع السابق ص ٤١-٤٢

(٢٧) المرجع السابق ص ٣،

٢٨ المرجع السابق ص ١

(٢٩) المرجع السابق ص ١٦

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

* العهد القديم

* إسرائيل شاحاك: [الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود] ترجمة: حسن خضر، طبعة دار سينا ـ القاهرة، سنة ١٩٩٤م

* الراغب الأصفهاني: [المفردات في غريب القرآن] طبعة دار التحرير ـ القاهرة، سنة ١٩٩١م

* صالح النعيمي: صحيفة [الشرق الأوسط] [illegible] في ٦ [illegible] ٢٠٠٥م

* علي بن أبي طالب: [نهج البلاغة] بشرح الإمام محمد عبده، تحقيق: محمد أحمد عاشور، محمد إبراهيم البنا ـ طبعة دار الشعب ـ القاهرة ـ بدون تاريخ

* د. محمد حميد الله ـ محقق ـ: [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة] طبعة القاهرة، سنة ١٩٥٦م

* محمد السماك: [illegible] في القرآن الأمريكي، طبعة دار النفائس ـ بيروت، سنة ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م

* محمد عبده ـ الأستاذ الإمام ـ: [الأعمال الكاملة] دراسة وتحقيق: د. محمد عمارة، طبعة دار الشروق ـ القاهرة، سنة ١٩٩٣م

* د. محمد عمارة: [في فقه الصراع على القدس وفلسطين] طبعة دار الشروق ـ القاهرة، سنة ٢٠٠٥م

❊ ❊ ❊

عوامل تفوق الإسلام

«شهادة غربية»

شهادة العلامة مونتجومرى وات

وهذه الشهادة لغربية المنصفة للاسلام وحضارته وثقافته بل والمؤكدة على صدقه..وعلى رقيه وتفوقه على الديانات الاخرى..هى لواحد من اعمدة الاستشراق المعاصر وأعمدة الثقافة الغربية المعاصرة المؤرخ والباحث الانجليزى النصرانى الأنجليكانى «مونتجومرى وات Mont gomery,Watt».

وهو محاضر فى اللغة العربية وآدابها..ومتخصص فى الدراسات الاسلامية الأكاديمية..وفى علم الكلام الاسلامى..وفى التاريخ الاسلامى..وعميد لقسم الدراسات العربية فى جامعة (ادنبرا)..وحاصل على الدكتوراه فى علم الكلام الاسلامى..بموضوع الكسب والجبر والاختيار..وصاحب المؤلفات العديدة..ومنها:[عوامل انتشار الاسلام] سنة ١٩٥٥م..و[محمد فى مكة] سنة ١٩٥٨م..و[محمد فى المدينة]..و[الاسلام والجماعة الموحدة] سنة ١٩٦١م..و[محمد النبى ورجل الدولة]..و[الاسلام والمسيحية فى العالم المعاصر] سنه ١٩٦٩م..الخ..الخ

وهذه الشهادة المنصفة للاسلام وحضارته وثقافته والمؤكدة على تفوق صدق الوحى القرانى قد جاءت ثمرة لدراسات «مونتجومرى وات» للإسلام..مقارنا بالديانات الاخرى..دراسات استمرت لأكثر من ثلاثين عاما..بدأت سنة ١٩٣٧م..مع معاشرته للواقع الاسلامى..وحواراته مع العديد من علماء الاسلام..حتى جاءت هذه الشهادة ثمرة لإبحار هذا العالم المرموق فى بحار الديانات والحضارات والثقافات فى تدرجها المديد وواقعها المعاصر..حتى لقد جاءت هذه الشهادة..كما يقول هذا العالم المرموق ثمرة لمراحل من التقدم والارتقاء نحو نظرة حيادية لا تنحاز لاى من الدينين..المسيحية والاسلام..رغم مواصلة العيش على ارض الواقع المسيحى ممارسا لما تفرضه المسيحية على من يتدين بها..مع ما استلزمه هذا الارتقاء وهذه الحيادية من معاناة وتوتر داخلى!..

• وهو في هذه الشهادة يتحدث عن:

١ ـ الأهداف الموخاة من كتابته عن الإسلام، مصرف بالنصرانية..

٢ ـ وتقديم شهادة عالم نصراني غربي على صدق الوحي الإلهي كما يتجسد في القرآن الكريم، وعلى تميز الوحي في القرآن عنه في التوراة والإنجيل، وعلى صدق نبوة ورسالة محمد ﷺ.

٣ ـ كما يشهد هذا العالم النصراني الغربي على ثراء القرآن، وجدته، وأصالته، وعلى أن جمعه اليوم هو جمع إلهي، وعلى الثقة بالنص القرآني المتداول بين الناس، وعلى أن تعدد القراءات لبعض حروف القرآن لم يؤثر في وحدة معاني النص القرآني، وعلى مركزية القرآن ومحوريته في الثقافة الإسلامية..

٤ ـ كما يشهد للغة العربية، لغة القرآن، ولسان الشريعة الإسلامية، بوصفها لغة حضارة وثقافة راقية ومتميزة..

٥ ـ ويشهد لعالمية الإسلام، وتفوقه، ورقيه، وبأنه منهج شامل للحياة..

٦ ـ ويشهد، كذلك، على أن انتشار الإسلام ووراثته للمسيحية في الشرق، إنما يرجع إلى الضعف الذي كان في تلك المسيحية، وإلى فشلها في تلبية احتياجات الإنسان الدينية التي تطمئن به القلوب، وذلك على العكس من التوحيد الإسلامي الذي حقق تفوقاً لا يجارى في هذا الميدان، وعلى استمرارية هذا الفشل المسيحي في عصرنا الراهن، والذي ينذر بشكل ترجع المسيحية وتقدم الإسلام..

٧ ـ كما يشهد على مكانة الإسلام وعظمته المتميزة في دين المستقبل، وتفرده دون الأديان الأخرى في حل مشكلة العنصرية..

٨ ـ وعلى براءته التعصب في الحضارة العربية وتمركزها حول ذاتها..

٩ ـ وعلى خطر النظرة العلمانية على القيم والأخلاق..

١٠ ـ كما يحدد في شهادته هذه شروط الحوار المثمر بين أهل الأديان، يشهد مونتجومري وات على ذلك كله فيقول:

- ١ -

الأهـداف

«إن هدفي الأساسي هو:

● أن أقدم الإسلام بأفضل شكل مبسط للقارئ الأوروبي والأمريكي الذي ينظر للأمور بمنظور ديني أو بمنظور علماني . .

وإني أقصد بذلك أن أبطل مفعول الآثار الباقية من دعايات حروب العصور الوسطى[الحروب الصليبية]. كما أني حاولت أن أجعل القارئ يتحقق، على نحو أفضل من ذي قبل، من أهمية الإسلام، التي تجلت طوال مئات السنين التي أعقبت حروب العصور الوسطى هذه.

● والهدف الثاني: هو أن أوضح للمسلمين أن الدارسين الغربيين ليسوا بالضرورة معادين للإسلام كدين، بل إنه من الممكن أن نجمع بين هذه الاتجاهات . . »[1]

* * *

- ٢ -

الوحى القرآنى

«إن جزءاً من أهداف هذه الدراسة هو تعريف المسيحيين بمفهوم الإسلام للوحى، وتعريف الذين لم يدركوا منهم حتى الآن أن الوحى الإسلامى مسألة لا بد من تناولها بجدية..

إن القرآن الكريم ليس بأى حال من الأحوال كلام محمد، ولا هو نتاج تفكيره، إنه هو كلام الله وحده، قصد به مخاطبة محمد ومعاصريه، ومن هنا فإن محمداً ليس أكثر من «رسول» اختاره الله لحمل هذه الرسالة إلى أهل مكة، أولاً، ثم لكل العرب، ومن هنا فهو قرآن عربى مبين، وهناك إشارات فى القرآن إلى أنه موجه للجنس البشرى قاطبة، وقد تأكد ذلك عملياً بانتشار الإسلام فى العالم كله، وقبله بشرٌ من كل الأجناس تقريباً

وهذه الفكرة نفسها عن «الوحى» اعتنقها مسيحيون كثيرون عبر القرون، فاعتبروا كلمات الكتاب المقدس هى كلمات الله نفسه، إلا أنهم عادة - لا يفترضون أن كلمات الله قد جلبها مصدر خارجى يمثل فى ملك أو ملائكة يملونها على كُتّاب الأناجيل، وإنما يُلقى فى روع هؤلاء الكتّاب أن ما يكتبونه إنما هو كلام الله حقاً. فالأسباب التى أوردت ذكرهم فى العهد القديم يعلنون دون تردد «هكذا يقول الرب» لذا، فلا بد أنهم كانوا يعتقدون أن ما ينطقون به من كلمات إنما هو بمعنى من المعانى كلمات الله حقاً.

إننى أعتقد أن القرآن بمعنى من المعانى صادر عن الله، وبالتالى فهو وحى

وكما رأى المسيحيون أن تاريخهم شهد «حواراً» بين المسيحية وبين العلمانيين المناهضين للدين، فإن هذا يعنى أنه من المستحيل الاستمرار فى الأداء بوجود «وحى»

أو «رسالة» أو «ديانة» مسيحية دون الاعتراف «بشيء» من الصحة «للوحي» أو «الرسالة» أو «الديانة» الإسلامية..

والمنهج الذي أتخذه في هذه الدراسة، هو أن أصل بقدر ما أستطيع إلى مستوى حقيقة الخالصة، ولن أتعرض للقرآن باعتباره من إنتاج محمد، وإنما باعتباره وحيًا.

* * *

كيف وصلت هذه الكلمات التي كونت التجربة الأولى إلى وعي محمد أو شعوره؟

إنا نؤمن بصدقه وإخلاصه عندما يقول بها ليست نتيجة أي تفكير واعٍ منه.

إن التجربة السوية مع الوحي يمكن إيجاز ملامحها الرئيسية فيما يلي

١ محمد يشعر، وهو في حالة وعي، أن هناك كلمات بعينها تلقى في روعه أو تخطر في قلبه أو عقله الواعي.

٢. وأن هذه الكلمات والأفكار لم تكن قط نتيجة أي تفكير واعٍ من جانبه

٣. أنه يعتقد أن هذه الكلمات ألقيت في روعه (عقله) من قبل «مندوب» أو «صوت» خارجي يتحدث إليه كملك.

٤. أنه يعتقد أن هذه الرسالة قادمة من الله ـ تعالى.

هذه الملامح الأربعة الرئيسية موجودة في كل حالات الوحي كما وردت في القرآن الكريم..

إن الكلمات المنزلة على محمد كانت تخطر في عقله الواعي، وإن تفكيره الشخصي لم يكن له دور في ذلك، وإن بقيت جازمًا كان يتملك فؤاده أن هذه الكلمات هي من الله...

لقد وجد محمد الكلمات أو المحتوى الشفهي حاضرًا في وعيه، فلما تمت كتابته شكّل النص القرآني الذي بين أيدينا. وكان محمد واعيًا تمامًا أنه لا دخل لتفكيره الواعي في هذه الرسالة القرآنية التي تصله، وبتعبير آخر فقد كان يعتقد أنه يمكنه أن يميز (أو يفصل) بين هذه الرسالة القرآنية وبين تفكيره الواعي. الأمر الذي يعني أن

القرآن الكريم لم يكن بأية حال من الأحوال نتاج تفكير محمد وهذا يعني أنه سيكون من الخطأ أن نقول، في معرض حديثنا عن آيات القرآن الكريم: إن محمداً قال...

إلا أن بعض المترجمين الأوروبيين في الماضي تحدثوا كما لو أن محمداً قد فعل ذلك، وهذه الطريقة في الحديث تدعو للأسف، فهي طريقة غير علمية، لم تصمد في اعتبارها الملامح الأساسية الظاهرة لتجربة محمد في تلقي الوحي.

نحن في مجتمعنا المعاصر، الذي يسوده جو التسامح بين الأديان، يحسن بغير المسلمين أن يتجنبوا الحديث والتفكير على هذا النحو..

إن القرآن لا ينبغي النظر إليه باعتباره نتاج عبقرية بشرية.

وعندما تحدى محمد أعداءه بأن يأتوا بسورة من مثل السور التي أوحيت إليه، كان من المفترض أنهم لن يستطيعوا مواجهة التحدي؛ لأن السور التي تلاها محمد هي من عند الله، وما كان لبشر أن يتحدى الله، وليس من شك في أنه ليس من قبيل الصدفة أيضاً أن كلمة (آية) تعني علامة على القدرة الإلهية وتعني أيضاً فقرة من الوحي.

* * *

ولو احتفظ يهود العصر ومسيحيوه بيهوديتهم ومسيحيتهم في حالة نقية لاعترفوا بالرسالة التي ألقاها الله إليهم عن طريق محمد، تماماً كما فعل (ورقة بن نوفل) [١٢ق. هـ/٦١١م] (الذي أفادت الروايات أن مستجابة كانت بجانبه لمحمد). ومن هنا يمكن أن نقول إن إشارة القرآن إلى «تحريف» الحق اليهودية والمسيحية بصورتهم الموجودة أمامنا قول صحيح..[٢]

* * *

ـ ٣ ـ

ثراء القرآن.. وجدته.. وأصالته.. وحفظه.. ومحوريته في الثقافة الإسلامية

ثمة عدة نقط تُعد بمثابة عناصر أصالة وتميز في القرآن، نظراً لأن فكرة الوحي وتلقي الرسالة قد تطورت في القرآن..

إنه إذ تكتشف شيئاً من عدم التناسق المنطقي Inconsistency في القرآن، فهذا دليل على ثرائه وخصوبته، ودليل على سمو مثمر (تجاوز) يعلو فوق الفكر المجرد العاقر، أو غير المجدي Barren Conceptual Thought ومن هنا قد نجد (معنيين) أو (تقريرين) مختلفين Incosistent لأن أحدهما فقط لا يعبر عن الحقيقة بشكل تام

لقد شهدت بدايات القرن العشرين صرعة (موضة) تقديم القرآن للقارئ الأوروبي باعتباره مختارات من أفكار اليهودية والمسيحية، بالإضافة لقليل من الزيادات المحددة، ومعنى هذا انتفاء الجدة والأصالة.

والواقع أن هذه النظرة تعد بقية من بقايا الدعاية المسيحية التي سادت فترة الحروب الصليبية عندما كان على أوروبا العربية التي كانت ترتعد فرائصها من جيوش الإسلام أن تقوّي دفاعاتها برسم صورة زائفة عن الإسلام.

وإذا نظرنا للأمور بعيدة عن سياقها التاريخي، حتى بقصد مجرد المقارنة بين القرآن والتوراة والإنجيل، لوصلنا إلى نتائج خاطئة. وعلى أية حال، فافتراض أن محمداً قام بدعوته في فراغ، أي دون مراعاة لظروف العالم وقتها، فرض غير علمي عندما ننظر للقرآن والعهدين (القديم والجديد) في السياق التاريخي، نجد أن الأمور تسير في اتجاه آخر، أو تصل بنا إلى نتائج أخرى، أو تتخذ ملامح مختلفة. ففي العهد القديم ـ هو

بدوره. لم يحدثنا من فرغ عقلي، بما راعى الحياة العقلية والثقافية السائدة، وبالقياس نفسه يجب أن ننظر إلى محمد ودعوته، فالرسالة الأصيلة والجديدة لكل نبي هي تلك الرسالة التي تتواءم مع كثير من الأفكار، وتعبر عن نفسها باستخدام مصطلح هذه الأفكار السائدة، وتتعامل مع القضايا المعاصرة لها..

وهكذا يظهر القرآن أصالته، ولو لم يكن إلا هذه الاستجابة الفعالة لمتطلبات موجودة بالفعل لكفاه دليلاً على الأصالة..

لدينا إذن أرضية ثابتة نقف عليها باطمئنان، أن القرآن لم يكن مجرد ترديد لأفكار يهودية ومسيحية، وإنما كان به إضافات تتسم بالجدة والأصالة..

يؤكد القرآن الكريم أن الرسالة التي حملها محمد لشعبه كانت هي نفسها الرسالة التي حملها الأنبياء الآخرون لشعوبهم، وعلى أية حال، فإن هذا التماثل ينصب على أساسيات الرسالة، كالإيمان بالله واليوم الآخر والأنبياء والملائكة والكتب المنزلة. وحتى الأفكار التي اشترك فيها الإسلام مع اليهودية والمسيحية، فإنها قد اتخذت شكلاً عربيًا واضحًا..

إن القرآن كان يمهد لانتقال مرتقب من الصور العراقية لأديان موجودة بالفعل لدين جديد (الإسلام)..

على أن تفحص العلاقة بين القرآن والسنة المكية أو العربية عامة، يوضح لنا بجلاء أن رسالة الإسلام كانت ملائمة تمامًا للبشر الذين ظهر محمد بين ظهرانيهم ولم تكن مجرد عقائد سابقة (يهودية أو مسيحية)..

وثمة ما يؤكد أن الإسلام كان بمثابة مستودع لدين إبراهيم في مرحلة نقائه الأولى. إذ القرآن يقرر لنا أن الإسلام هو دين مطابق لدين إبراهيم الخالص، وهو قول يستحق النظر إليه بجدية..

* * *

إن كلمة (جمع). [في الحديث عن جمع القرآن] قد استخدمت في آيات قرآنية مبهمة ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به ﴿١٦﴾ إن علينا جمعه وقرآنه ﴿١٧﴾ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴿١٨﴾ ثم إن علينا بيانه ﴾ [القيامة، ١٦ ـ ١٩]

ومن الممكن أن يكون التفسير الطبيعي لهذه الآيات أن محمدا ما دام يتبع تلاوة من يتلو عليه (جبريل) فإن الله متكفل بجمع الآيات المتفرقة أو التي أوحي بها في أوقات مختلفة ليجعلها في سياق واحد.

وإذ لم يكن محمد هو الذي رتب القرآن بدء على وحي نزل عليه، فمن الصعب أن نتصور زيدا - [زيد بن ثابت [١١ق. هـ - ٤٥هـ / ٦١١ - ٦٦٥م] أو أي مسلم آخر يقوم بهذا العمل. ومن هنا، فإن كثيرا من السور قد تحددت شكلها الذي هي عليه منذ أيام محمد نفسه. إن القرآن كان يسجل فور نزوله، وقد جمع رسميّا حوالي سنة ٦٥٠م.

ورغم كثرة القراءات، فإن أيا منها لم يؤد إلى جنوح معاني القرآن بحيث تجعلها بعيدة عن المعاني المفهومة من القراءات الأخرى.

والشيء نفسه يمكن أن يقال بشأن المصاحف السابقة على مصحف عثمان، فلم تكن الخلافات بينها وبين مصحف عثمان ذات شأن، بحيث تحدث ردود أفعال مختلفة في المجتمع الإسلامي..

* * *

ومهما كان الطريق الذي دخلت عن طريقه الثقافة البونتية فإن المجتمع الإسلامي لم يقبل منها إلا ما هو مناسب وملائم لنسيج الحياة الإسلامية ولنظرة العقلية للعالم والكون التي يقرها القرآن. وبمرور الوقت تحقق أن حياة المجتمع الإسلامي تشكل عالم قائمة على استمرار القرآن وتتوفر مكان المركز أو القطب أو المحور.

ولقد أدت سهولة المواصلات وتطور الاتصالات السلكية واللاسلكية إلى أن أصبح إسلام المناطق البعيدة عن المركز متوافقا ومتوائما مع إسلام المناطق المركزية أو الوسطى..[٣]

* * *

ـ ٤ ـ

العربية: لغة حضارة وثقافة متميزة

«إن اللغة العربية ليست لغة صحراوية بالمعنى الضيق للكلمة، فالروايات التي لا تخلو من الحقائق تخبرنا عن حياة زراعية باكرة قبل أن تشرع المنطقة في التصحر، كما تخبرنا عن انهيار نظام الري في اليمن وهجرة قبائل مختلفة من هذا اليمن الذي كان سعيداً..

وهذه التجارب لا بد أن نفترض أنها تركت آثاراً في مصاميم الكلمات المختلفة، كما أن كثيراً من العرب ارتبطوا بالأعمال التجارية، فقد كان تجار مكة الكبار يتحكمون في القوافل التي كانت تتجه بانتظام إلى الشام وإلى اليمن، وارتبطت القوافل المتجهة إلى اليمن بطرق التجارة المتجهة إلى جزر الهند والمتجهة إلى شرق أفريقيا، وقد تركت هذه التجارة أيضاً بصماتها على اللغة العربية..

وعلى هذا، فاللغة العربية قد ارتبطت بوسط ثقافي خاص يمتاز بكثير من الملامح التي تميزه عن الأوساط الثقافية الأخرى. وهذه الحقيقة ذات أهمية كبرى، خاصة في عالم متداخل الأديان، إنها تعني أنه لا وجود لإنسان معياري Standard Man أي أن هناك أنماطاً كثيرة معيارية، يمثل كل نمط منها منطقة ثقافية حضارية محددة»[٤]

***

ـ ٥ ـ

عالمية الإسلام.. وتفوقه.. ورقيه

«إن الإشارات القرآنية» الخاصة «أو» اللصيقة «بالعرب لا تنفي أنه عالمي الرسالة، أو ذو صبغة عالمية، فالقرآن يخاطب البشر عامة، وليس الإنسان العربي في الوسط الثقافي أو الحضاري العربي فحسب. وتلك حجة قوية؛ لأن الإسلام قد انتشر بالفعل انتشارًا واسعًا خارج نطاق الوسط الثقافي العربي بمعناه الضيق أو الأصلي، فاعتنقته أجناس مختلفة من أوساط ثقافية مختلفة..

إن رسالة الإسلام، التي وُجهت في البداية لأهل مكة والمدينة، كانت تحمل في طياتها بذور العالمية، أو أنها كانت منذ البداية أو منذ مصطفى لأول مرة ذات أبعاد عالمية..

إن القرآن يحتوي على قبول واسع بصرف النظر عن لغته؛ لأنه يتناول القضايا الإنسانية

وبقدر ما يحكم النظرة العالمية للإسلام (كونه دينًا عالميًا للبشرية) من جعله يستوعب تراث المسيحية الذي يقع بين شعوب الشرق الأوسط التي كانت مسيحية، ومن هنا فقد أصبح المفكرون المسلمون هم حملة الثقافة العالمية بكل المنطقة ».

* * *

«لقد حاولت حركة التبشيرية ـ [المسيحية] ـ الحديثة أن تخترق مناطق العالم الثقافية التي تسيطر عليها الأديان الأرقى، وقد رغب سكان هذه المناطق في التكنولوجيا الأوروبية، وفي الحواس المادية من الحضارة الأوروبية، لكنهم ـ في غالبهم في الوقت نفسه كانوا مرتبطين ارتباطًا عميقًا بدينهم الذي كانوا يشعرون أنه أرقى من دين الأوروبيين. ومن هنا فقد كان نجاح الحركة التبشيرية المسيحية في هذه المناطق محدودًا

تمامًا، فمعظم من تركوا دينهم في هذه المناطق ودخلوا دين الأوروبيين لم يكونوا أصلاء، ولم يكونوا من صلب التكوين الثقافي الأصلي لسلالاتهم، وإنما كانوا من جماعات تعيش على هامش ثقافة بلادها، أو كانت لا تحظى بوضع اجتماعي مريح في نطاق هذه الثقافة السائدة..

وهناك اهتمام في الإحصاءات الإرسالية بعدد المتحولين للمسيحية، وبزيادة الأعضاء المنتمين لكنائس المحلية. والمسيحية في هذا الصدد تختلف إلى حد الناقض مع الإسلام، فرغم أنه دين دعوة كالمسيحية، إلا أنه أقل تباهيا بالداخلين فيه، فالمجتمع الإسلامي يحسب أنك إذا أسلمت لمجرد قولهم كرخوة «في الإسلام»، وهذا الاتجاه لا يتخذه إلا أصحاب دين واثقون من دينهم ثقة عظيمة، ثقة لا تجعلهم يؤكدونها بالإحصاءات، بينما نجد أن المسيحيين العرب يعبرون بأزمة ثقة في النفس..»

* * *

«إن عبارة «إرادة الله أو مشيئته ـ The Will Of God» موجودة في الديانتين ـ [المسيحية و الإسلام] ـ لكن ارتباطها بحياة المسيحيين والمسلمين مختلف، فبالنسبة للمسيحي عادة ما تعني إرادة الله المفهوم بمعنى الإرادة The Moral Will كما تجلت في الوصايا العشر Command Ments أو تتجلى في الفضيلة السليمة للفرد (الحدس أو البديهة)(فإرادة الله بالنسبة لي فيما يتعلق بعمل).

بينما نجد أن المسلم يضفي على كل ما يحدث، فكل ما يحدث بإرادة الله ومشيئته ومرة أخرى نجد أن الدين بالنسبة للمسلم يعطي تقريبًا كل جوانب الحياة، بينما هو بالنسبة للمسيحي الأوروبي العادي لا يعطي إلا جانبا يسيرًا منها، مع أن كلمة «الدين» العربية هي أقرب بكلمة Religio اللاتينية، إلا أن المفهومين مختلفان كما رأينا لا يمكننا إذن عقد مقارنة، رغم أن الألفاظ واحدة، ومن هنا فليس ثمة معيار أو مقياس Criterion بسيط للفصل بين ما هو حقيقي صادق، وما هو زائف خادع.

* * *

لقد أكد الإسلام نفسه بالفعل كدين مستقل عن الدينين الأقدمين (اليهودية والمسيحية)، ويقول عن حق «إنه بالفعل كان يفوقهما، أو أنه فعلاً كان متفوقًا عليهما، أو أرقى منهما..»[٥]

-٦-

فشل المسيحية فى الشرق الأوسط

إن السبب المهم فى إنحسار الإسلام فى الشرق الأوسط هو أنه حل محل المسيحية التى كانت محور الحياة الثقافية فى هذه المنطقة. مناطق شاسعة كان سكانها فى عالمهم يشكلون قلب العالم المسيحى، فأصبحوا يشكلون قلب العالم الإسلامى. إنه من الضرورى أن نتمعن فى أسباب هذا التغير بعناية.

لقد تحدثنا كثيراً - فى هذه الدراسة - عن قوة الإسلام. وإذا كان علينا أن نحذو حذو أرنولد توينبى - Arnold Toynbee [١٨٨٩ - ١٩٧٥م] - على أية حال - لقلنا إن السبب الجوهرى هو الضعف الداخلى للمسيحية (أو ضعف المسيحية من الداخل، أو كون بذور الضعف فى قلب المسيحية)

يتعين علينا أن نبحث عن جذور فشل المسيحية فى معالجة موضوع المسيحيين الشرقيين. إن كثيراً من المسيحيين الشرقيين، خاصة اللاهوتيين منهم، استخدموا أيضاً اليونانية فى الكتابات الجادة، لكن طريقة تفكيرهم كانت تشكل أساسى بعقليتهم فى لغاتهم الأصلية (السريانية، القبطية، الأرمنية ... إلخ)

وقد أدى الاختلاف فى العقليات إلى اختلاف فى تصنيع اللاهوتية فى قضايا مختلفة، وعندما كانت تطرح هذه القضايا اللاهوتية المختلف عليها أمام المجامع المسكونية (العالمية) كان (اليونانيون) يستبعدون المسيحيين الشرقيين (الناطقين باللغات ذات الذكر) من حق التصويت. ومرور الوقت وجد المسيحيون الشرقيون أنفسهم وقد اعتبرهم الآخرون هراطقة منحرفين، بل واعتبرتهم الإمبراطورية البيزنطية طريدى العدالة ومحرومين من حماية القانون..

وعندما تم طرد هذه الطوائف من الكنيسة المسيحية(للدولة البيزنطية) قامت هذه الطوائف بتأسيس عمائد تحشدت فيها الهرطقات الأكثر خصوصية(ما اعتبره الآخرون هرطقات خطيرة)، التي اتهمهم مناوئوهم بها. ولم يكن هذا كافيًا لرأب الصدع بين الطوائف المسيحية، فقد تنامت لدى الأطراف المتنازعة الرغبة في عدم التوحد، ومن هنا كان طرد المسيحيين الشرقيين من الكنيسة ومن المجامع المقدسة على أساس أنهم(هرطقة) أدى إلى قيام المسيحيين الشرقيين بتأسيس منظمات كنسية منفصلة، وأدى هذا إلى إضعاف المسيحيين الشرقيين، وانهيار الكنيسة الرئيسية(للدولة البيزنطية) على السواء. وهكذا تحولت الخلافات اللاهوتية إلى شعارات سياسية.

لذا فعندما فتح المسلمون سوريا ومصر رحب بهم السكان باعتبارهم محررين لهم من سطوة النوبيين(البيزنطيين) ممقوتين. وقد لخص (كريستوفر داوسون- Ghristopher Dawson) [١٨٦٧م-١٩٧٠م] بعض هذه النقاط، بأسلوبه الموجز المفعم بالمعاني، عندما قال «إن محمدًا كان هو إجابة الشرق على تحدي الإسكندر» [٣٥٦-٣٢٤ ق م]. فقد كان محمد هو مؤسس الدولة الإسلامية التي سرعان ما اتسعت لتصبح دولة كبرى(إمبراطورية) أصبح لها ثقافتها الخاصة وحضارتها المتميزة في مواجهة الهيلينستية بوجه عام.

لقد دخل الإسلام إذن في منطقة لم تحقق فيها المسيحية نجاحًا، أو لنقل بها فشلت بالفعل، فالبلاد التي كان يسيطر عليها المسيحيون الشرقيون في وقت من الأوقات أصبحت الآن بلادًا إسلامية عميق إسلامها.

وعلى أية حال، فعلى كل مكن تحول نسل المسيحيين الشرقيين إلى الإسلام، بل لقد تحول عدد كبير منهم أنفسهم، لا سلالاتهم فقط، ولا يمكن أن نعزو ذلك مجرد الضغوط المادية والاجتماعية، كاعتبار المسيحيين في الدولة الإسلامية مواطنين من الدرجة الثانية. ولن يفهم المسيحي فهمًا كاملاً ما حدث بالضبط إلا إذا أعاد اكتشاف حقيقة أن هنا- أي في هذه المنطقة- كانت المسيحية في وضع أقل (من الديانات الأخرى) أو بتعبير آخر، ربما كانت المسيحية في هذه المنطقة تحظى بقبول أقل، وربما حتى من الناحية الروحية، أو على الأقل أنها نظرية مقبولة ظاهريًا أن المسيحيين الشرقيين عدو عزلاء عن المسيحية..

لذ فمن المقبول ظاهريًا أن نجد معظم المسيحيين الشرقيين قد تحولوا للإسلام؛ لأنهم وجدوا فيه تعبيرًا عن التوحيد أكثر ملاءمة لعقليتهم الواضحة أكثر مما وجدوا في المسيحية.

بل أكثر من هذا، إذ يمكن أن نقول إنه بينما فشلت المسيحية - على أساس من المفاهيم اليونانية - أن تقدم نفسها للعقول الشرقية، فإن الإسلام - على أساس من المفاهيم العربية - نجح في إحراز بعض التقدم بتقديم الأفكار اليونانية

إنها لحقيقة معروفة جيدًا أنه فيما بين القرنين التاسع و لثاني عشر للميلاد قبل الوسط الثقافي والفكري الإسلامي كثيرًا من الفلسفة اليونانية والعلوم اليونانية

ومن نافلة القول أن نقول إن هناك الكثير من الثقافة اليونانية بيده الإسلام تمامًا، ليس أقله «التراجيديا اليونانية»، والإنجازات الكبرى في الخيال الشعري، وهذا الإهمال «لا يمكن أن يكون مجالاً للتركيز لتوضيح الفارق بين العقليتين »

* * *

«إن تأثير المسيحية الفعلي، أو تأثير جوهر العقلية المسيحية يبدو في تناقص مستمر رغم محاولات التوسع التي تقوم بها الحركة التبشيرية، وفي الوقت نفسه وجدنا «صحوة» أو «انبعاثًا» أو «حركة نهضة» في معظم أديان العالم الكبرى الأخرى «غير المسيحية»، بل وظهرت أيضًا أديان جديدة. وإذا رجعنا للإسلام وجدنا زيادة في عدد معتنقيه في نطاق منطقته الجغرافية، بل وظهرت حركات دعوة للإسلام في أوروبا. .»[٦].

* * *

ـ ٧ ـ

الإسلام هو الهيكل الأساسى لدين المستقبل

«فى المستقبل ... ستكون هناك حركة بطيئة ستتمخض فى النهاية عن ثقافة متجانسة بعالم أجمع. وفى مثل هذه الثقافة المتجانسة المنتشرة عبر العالم كله ستكون المقارنة الموضوعية بين الأديان أمراً ممكناً..

إنه فى الحاضر والمستقبل المرئى، من الضرورى أن نعرف أن الأديان الكبرى لدى كل منها ما يتمم الآخر، فكل دين من هذه الأديان صحيح فى نطاق منطقة ثقافية خاصة، والأديان يكمل بعضها بعضاً..

وعلى المدى البعيد - بطبيعة الحال - من المتوقع أنه سيكون هناك دين واحد للعالم كله، مع وجود اختلافات داخل نطاق هذا الدين الواحد، ويمكن تشبيه هذه الفروق الداخلية بالمذاهب الأربعة لدى المسلمين من أهل السنة، فهم جميعاً مسلمون رغم اختلاف مذاهبهم..

ومعظم المسيحيين يميلون إلى افتراض أن المسيحية ستكون هى دين العالم فى المستقبل. لكن هذا أبعد ما يكون عن أن يكون أمراً مؤكداً، ولنذكر عنصراً واحداً، فبعض الأمم المسيحية تعانى بشدة من العنصرية، والدين الذى لا يستطيع أن يحل مشكلة العنصرية بين أعضائه من المستبعد أن يكون قادراً على تقديم حلول كثيرة مجدية لمشاكل العالم الأخرى.

ومن بين مزايا الإسلام تعميقه لمفهوم الأخوة، وعمق حججه. إلا أن الثقة بالنفس، مصحوبة بعمق الحجج وقوتها قد تتحول إلى «عيب» وليس ميزة، عندما تعمى عين الإنسان عن رؤية ما هو جدير بالتقدير لدى الآخرين، لذا فقد يجد الإسلام صعوبة فى إدراج قيم أخرى من أديان أخرى ليستوعبها ويجعلها جزءاً منه

والإسلام - بالتأكيد - مصدر قوى، ومنافس عظيم الشأن، سيعمل على مد الدين الواحد - دين المستقبل - بهيكله الأساسى..»[٧].

- ٨ -

تعصب المركزية الأوروبية

«إن الحضارة الأوروبية (أو العالم المسيحي) كانت، ولفترة طويلة، تتصرف كما لو أنها الوحيدة التي تستحق الاهتمام، و عشر الأوروبيون أنفسهم هم وحدهم - من بين كل البشر - الجديرين بالاعتبار (يعتبر الكُتاب المعاصرون لحضارة أمريكا الشمالية باعتبارها «امتداداً للحضارة الأوروبية»، ويرى آخرون ضرورة النظر إليها كحضارة مستقلة).

وفي القرن التاسع عشر كانت الثقافة الأوروبية حضارة، وكلما تقدمت تكنولوجيًا وسياسيًا، أصبحت مناطق أخرى من العالم متحضرة، ونتيجة لهذه الفكرة أهمل بالفعل تاريخ الحضارات العالمية الكبرى قبل اتصالها بأوروبا.

وعاملت الحضارة الأوروبية أديان العالم المعاصرة نفسها، فكانت تنظر إلى التطور الديني الرئيسي للجنس البشري من خلال نظرها للمسيحية، وإن كانت قد أعطت مساحة قليلة من الاهتمام لليهودية، وفيما عدا ذلك كان الأوروبيون ينظرون إليه باعتباره غير متطور وبدائيًا. ومن هنا، فهناك افتراض مؤداه أن الأديان الأخرى الآن (غير المسيحية)، بما في ذلك الأديان الكبرى، سوف تحني مكانها سريعًا للمسيحية.

وقد يكون «الأبرشيون - Parishioners» قد توارثوا فكرة أن كل من هم غير مسيحيين لا يزيدون عن كونهم أفضل قليلاً من الجماعات البدائية التي لم تتعد مرحلة الهمجية، لكن أفكار هؤلاء الأبرشيين بدأت تتهدر وتتساقط حولهم شذر مذر، إذ إنهم قد اكتشفوا أن غير المسيحيين يمكنهم أن يعيشوا حياة حضارية راقية، وأنهم مهتمون - بعمق - برفاهية أبنائهم، وأنهم يخضعون معتقداتهم لبناء عقلي، مثلهم في ذلك مثل المسيحيين.

لكن هذه الأسباب، فإن الحقيقة الكبرى المتمثلة في «عالم متدحرج الأديان» يستمر في التأثير في حياتنا اليومية بشكل متزايد.

وتحاول هذه الدراسة أن تتناول جانباً واحداً من قضية التداخل بين الأديان، وهو بالتحديد العلاقة بين المسيحية والإسلام..

إن الإسلام منافس قوي للمسيحية في قيادة عالم اليوم. إن جاز لنا استخدام مثل هذه المصطلحات الاستراتيجية. ولا بد أن نتحقق من أن كثيراً من عقائد الآباء عن تفوق المسيحية لم يكن في الواقع سوى مجرد عقيدة في تفوق الحضارة الأوروبية المدنية، أو على المستوى الديني، فالحقيقة أن الإسلام كان دوماً ندا للمسيحية، فالإسلام مثله مثل المسيحية لديه «كتاب» لعالمنا المعاصر»[٨]

ـ٩ـ

العلم.. والعلمانية.. والقيم

«إن المناهج العلمية لا تصلح لمجال «القيم Values» وإن قبولنا للمنهج العلمي واعتبارنا لما يحدوه يؤدي بنا إلى نظرة علمانية للعالم، حيث لا مجال للقيم الدينية والأخلاقية..

وكثير من المسيحيين لأن يقبلوا كثيراً من جوانب هذه النظرة العلمانية للعالم، ويحتفظون في الوقت نفسه بعقائد دينية بعينها تبدو متناقضة مع نظرتهم العلمانية (الآنف ذكرها)، أو يؤدي وضعهما متجاورين ـ العقائد الدينية والنظرة العلمانية ـ إلى نوع من المفارقة

ويشعر المتدينون من مختلف الأديان، بصعوبة الجمع بين النظريتين (المتعارضتين) بأشكال مختلفة»[٩]

* * *

ـ ١٠ ـ

شروط الحوار بين أهل الأديان

«إن الحوار ـ كما أرى ـ يتضمن الاستعداد للقبول الإيجابي بمقولات الدين الآخر رغم عدم التحول إليه، وبدون شيء من الاستعداد ليتعلم أصحاب كل دين من أصحاب الأديان الأخرى، يصبح الحوار نوعًا من الهداية المعطلة.

إننا نحاول أن نعطي فكرة حوار حر (مفتوح) من هذا النوع..

إن كثيرين يفهمون الحوار بطرائق مختلفة، فهو بالنسبة للبعض مؤتمرات ذات سلطات قد تنتهي بقرارات تم الاتفاق عليها..

وهو، بالنسبة لآخرين، لا يعدو أن يجتمع عدد من اللاهوتيين المسيحيين والعلماء المسلمين ليصدروا قرارات فيما يتعلق بالمسائل الخلافية في العقائد.

بل هناك من يتحدث عن الحوار بشكل مغلق، وكأنما ليس هناك إلا طرف واحد ـ مثل كاتب سويسري اختتم كتابه الموسوم باسم Dialogue With Islam بهذا النداء الذي وجهه للمسلمين:

«إننا نطلب بشكل خاص جدًا، نطلب منكم يا من تؤكدون بشدة القرابة القوية بين ديننا، أن تؤمنوا أن لدى العرب شيئًا أكثر وأفضل، أفضل من ثقافتكم: إنه كلمة الحياة، رؤية مملكة الرب، وأمل لا نهائي، أمل لا ينتهي، نعبر عنه بكلمة واحدة وباسم واحد: إنه يسوع المسيح».

* * *

إن مثل هذا الكلام ليس «حوارًا» بأي معنى من المعاني ذات الأهمية. فمثل هذه العبارات لا تعني شيئًا، أو لا قيمة لها حتى بالنسبة للمسلم الذي وصل إلى درجة عالية من التعليم. إنه، ببساطة، سيجيب عن مثل هذه النداءات غير المجدية، بأن لديه بالفعل «كلمة الحياة» ممثلة في القرآن، وأنه يعتقد أن إرادة الله ومشيئته هي التي تحقق العدالة على ظهر الأرض..

وإذا وضعنا فى اعتبارنا أن «الحوار» المقصود هنا يكون بين أشخاص ينتمون إلى ثقافات مختلفة، اتضح لنا ضرورة أن يكون المشاركون فى هذه الحوارات أناسًا على درجة عالية من التفتح وتقبل ما يقوله الآخرون، فلا يمكن أن يكون هناك حوار من أى نوع ما لم يتكلم أحد الأطراف بينما يصغى الطرف الآخر لما يقال محاولاً أن يفهم، وهذا ليس بالأمر اليسير بين ثقافات غريب بعضها عن البعض الآخر، لأسباب منها اختلاف المفاهيم والقيم والأفكار، فإذا راح طرفان أحدهما مسيحى والآخر مسلم، يبحث كل منهما للآخر عن حجج وبراهين لدعم الخلاف بينهما، فهما سيجدان بسهولة كثيراً من العناصر لدعم الخلاف، لكن هذا لن يؤدى إلى قيام حوار حقيقى. فمن شروط الحوار الرغبة فى التعلم، وإذا كان الأمر متعلقًا بثقافات مختلفة، فهذا يعنى صبراً عظيمًا ومحاولة التآلف والتعارف بكل جوانب العقلية الأخرى، أو العقلية الغربية، والتدرب على فهم عقليات الآخرين يجعل المرء أكثر تفتحًا، فإذا تقبل القيم الموجودة فى الدين الآخر، فإنه سيبدأ فى البحث عن سبيل لإدماجها فى دينه. فالمؤلف المسيحى السويسرى - الذى اقتبسنا من كتابه تلك العبارات - كان يشجع المسلمين - بلطف ودماثة - على أن يضيفوا إلى دينهم شيئًا دون أن يتخلوا عن الجزء الأساسى من تراثهم، ولكنه فشل فى أن يرى - كمسيحى - أنه لا بد أن يسأل نفسه فيما إذا كان لدى الإسلام شىء يقدمه ليضاف إلى المسيحية؟

ربما كانت ثقة المسلم العادى العميقة فى الله، هى الفكرة التى يجب أن تأخذها المسيحية من الإسلام.

* * *

ويبدو ضروريًا لحوار حقيقى أن يفرق كل مشارك فى الحوار بين رسالة دينه الإيجابية، وبين حججه الدفاعية، فتكرار الحجج الدفاعية يعنى الرغبة فى منع معتنقى هذا الدين من الخروج عنه، كما يحفز معتنقى الديانات الأخرى على صياغة حجج مضادة، والدفاعات والحجج المختلفة قد تنشأ بين أصحاب دين واحد على تفسير نص، مع أن هذا النص يلقى اعترافا من الطرفين المتجادلين..

* * *

وفى الحوار مع الإسلام، يجب أن يتخلى المسيحيون عن فكرة أن محمدا لم يتلق وحيا، والأفكار الشبيهة..»[١٠].

الهوامش

(١) مونتجومرى وات [الإسلام والمسيحية فى العالم المعاصر]ص ٢٣ . ترجمة: د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ . طبعة القاهرة. مكتبة الأسرة. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) المصدر السابق. ص ٣٤، ٣٥، ٣٩، ٤٠، ٥١ـ٥٥، ٨٣، ٢٠٦، ١٧٠ .

(٣) المصدر السابق. ص ٦٦، ٨١، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١١١، ١١٢، ١٠٤، ١٠٣، ١٠٥، ١١٠، ١١١، ١٦٦، ٦٠، ٦١، ١٢٨، ٦٣، ١٧٦، ١٧٨ .

(٤) المصدر السابق. ص ٦٥ .

(٥) المصدر السابق. ص ٦٧، ١٠٦، ١٣١، ١٨٨، ٢٢٣ـ٢٢٦، ٣٣، ١٩١ .

(٦) المصدر السابق. ص١٧٩ـ ١٨٣، ١٨٥ـ١٨٨، ٤٥ .

(٧) المصدر السابق. ص ٢٢، ٢٣٧، ٢٣٨ .

(٨) المصدر السابق. ص٢٨ـ ٣١، ٣٤، ٣٥ .

(٩) المصدر السابق. ص٣٢ .

(١٠) المصدر السابق. ص ٢٤، ٢٢٧ـ ٢٣٠ .

***

رقم الإيداع ٢٠٩٨٩ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977-09-1450-9

احترام المقدسات

• عندما تحدث القرآن الكريم عن حماية المسلمين لمقدسات الديانات، رتبها ترتيبا تاريخيا، فجاءت المساجد في ختامها! ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا﴾..

• وعندما أعطى رسول الله ﷺ العهد للنصارى، أعلن حمايته لكنائسهم وصلبانهم... وكذلك صنع المسلمون على امتداد تاريخ الإسلام، فحررت الفتوحات الإسلامية كنائس الشرق من الاغتصاب الروماني، لا لتجعلها مساجد، وإنما لتردها للنصارى يتعبدون فيها!..

• أما الغرب الاستعماري.. فإن تاريخه مع مقدسات الإسلام قد سود صفحات هذا التاريخ!

- لقد حول الصليبيون المسجد الأقصى إلى إصطبل للخيول، قرابة التسعين عاما!!.. وهم يساعدون الصهاينة على هدمه هذه الأيام!!..

- ودنست خيول نابوليون الأزهر الشريف.. ومزق جنوده المصاحف.. ودنسوها.. كما يصنع الأمريكان اليوم في معتقل «جوانتانامو»!!

- وفي أحدث فصول هذا «العار الغربي».. نشهد الآن تدمير الأمريكان لمساجد العراق، والإجهاز على الجرحى في هذه المساجد!!.. حتى لقد دمروا في مدينة «الفلوجة» وحدها أربعين مسجدا - من جملة مساجدها السبعين -!..

• وللكشف عن موقف الإسلام من المقدسات.. وموقف الغرب من مقدسات الإسلام.. يصدر هذا الكتاب؟

خيرية الأمة

• كي يكون المسلمون خير أمة، لا بد أن يحققوا شروط هذه الخيرية، الأمر بالمعروف.. والنهي عن المنكر.. والإيمان بالله.. وإلا فإنه ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا﴾ [النساء: ١٢٣].

• أما النزعة العنصرية في اليهودية التلمودية، فإنها تجعل المولود من أم يهودية، من شعب الله المختار.. الأخص من جميع الشعوب.. والمقدس دون جميع الشعوب.. والذي يعلو فوق جميع الشعوب.. والمخلوق ليأكل كل الشعوب أكلا.. دون أن يقطع لهم عهدا، أو تشفق عليهم عيناه؟!!.

فالولادة تكسبه جميع هذه الحقوق.. حتى ولو كان ملحدا.. أو ابن زنا!!!..

• والأغرب - في هذه «الملهاة - المأساة».. أن تتحول هذه «النزعة العنصرية» إلى عقيدة «للمسيحية - الصهيونية».. التي توجه المشروع الاستعماري الغربي ضد الإسلام والمسلمين!!..

• إنه «الوهم».. الذي تحول إلى «واقع».. تكشف عن حقيقته صفحات هذا الكتاب.

عوامل تفوق الإسلام «شهادة غربية»

• ... لقد شهدت بدايات القرن العشرين (موضة) تقديم القرآن للقارئ الأوروبي باعتباره مختارات من اليهودية والمسيحية!.. والواقع أن هذه النظرة هي من بقايا الدعاية المسيحية إبان الحروب الصليبية، عندما كانت أوروبا ترتعد فرائصها أمام جيوش الإسلام، فتحاول تقوية دفاعاتها برسم صورة زائفة عن الإسلام!....

• ... لقد أكد الإسلام استقلاله عن اليهودية والمسيحية.. بل وكان متفوقا عليهما.. وأرقى منهما....

• ... إن القرآن هو كلام الله وحده.. وعندما تحدى محمد أعداءه أن يأتوا بسورة من مثله.. كان من المفترض أنهم لن يستطيعوا مواجهة التحدي؛ لأن السور التي تلاها محمد هي من عند الله، وما كان لبشر أن يتحدى الله....

• وإن إشارة القرآن إلى تحريف لحق باليهودية والمسيحية، هو قول صحيح....

• والإسلام هو مستودع دين إبراهيم في مرحلة نقائه الأولى....

• ولو احتفظ يهود العصر ومسيحيوه بيهوديتهم ومسيحيتهم في حالة نقاء، لاعترفوا بالرسالة التي ألقاها الله إليهم عن طريق محمد....

• تلك سطور من الشهادة الغربية - التي تقدمها صفحات هذا الكتاب!